الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف . المسيلة .

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم تسجيل ط 1:35098481

رقم تسجيل ط350961512

رسالة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي تخصص: أدب حديث ومعاصر

العنوان:

الرُؤَى الثَّقَافِيّة فِي رِوَايَةِ"ذَاكِرَة الجَسَد" لِأَحلَام مُستَغَانِمِي

إعداد الطالبتين:

- تباني زهيرة

- غيلوس إيمان

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمد عرباوي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
هشام مداقين	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
بغدادي نسيمة	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2022/2021

بسم الله الرحمان الرحيم

قال تعالى:**{إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا}** التوبة 140

إلى أمين وحي الله وخاتم رسله وبشير رحمته محمد صلى الله عليه وسلم ...

إلى من خصهم ربّ العزة بالدعاء في كتابه الكريم **{ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا}** الإسراء 24.

إلى من أحببتهم حبا لا يكرره الزمن مرتين إلى بؤبؤي عينيّ ... أبي من عددت شيب لحيتك بإصبعي الضعيفة يوما ...وأمي و"فاطمتي "وصديقتي وجنتي،إلى والداي اللذان لازالا يمطرانني بزحام من الدعوات في ظهر الغيب .

الى صاحبة الأنامل الصغيرة من سعت بكل الطرق لإضافة سطور نورانية على بحثي هذا ،ذات الربيعين فتاتي و صغيرتي "تقوى" ،إلى كل إخوتي وأخواتي ...

إلى العفيفة ذات الإسدال أقربهن إلى قلبي ... أختي وكل صداقاتي و رفيقتي في إنجاز هذا العمل "إيمان غيلوس" .

إلى من ينتظرون شيئا جميلا ...إليكم كل ماهو جميل

- تباني زهيرة -

قال تعالى:**{إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا}** التوبة 140

لآخر صديقين على وجه الكرة الأرضية فإنني والله لا أؤمن إلا بهما (محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق)

قال تعالى **{ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا}** الإسراء 24

.

لرحمة الدنيا لأول حبيب في حياتي وآخره، لليد التي ربتني كأنها ألف يد وكتف ،لمن ظل مناضلا كي يبقى رأسي مرفوعا لا يعرف رغام الأرض لك جهدي واجتهادي لك صبري وعنادي لك كل الحروف التي كتبت على دفاتري من روضتي لهذه اللحظة..للقاء الذي قلت فيه ياأبي أنني أحب أولادك مضى عهد الطفولة وعهد ذاك الأثر لم يمض لك ياسند عمري ...

لجنة هذه الدنيا ،سيدة المشورة ،لمن كانت معي في أول خطوة ،أولها ومنصفها التي لن تتركني وإن انتهت خطاي ،لكل دعائي ..

للذي لا يوصف قدره،ولا يوسع مدحه،الذي تمنيته فكان أمنية فحلما فواقعا زوجي وقرة عيني ،لمن حمل تعبي فصار ارتياحا ولمن ربط حبالي فصار ميثاقا،الذي رزقني الله منه بنية اشتاق لحضورها كل لحظة" أفنان" حبيبة أمها وسيدة أفراحها ،جنتي في الدنيا هي ووالدها ...

لصويحباتي اللواتي رُبطن كلهن في كف "زهيرة"التي أزهرت بها كل أيامي وشدت بها كل أحلامي ،التي أسندتني كعكاز عجوز لم تخن ..

سندي وعضدي الذي لا يُشد عضُد الا بهم "إخوتي " للحمي ودمي وأفراحي التي أنجبوها..

لمن لم يهد لهم شيء من قبل أهدي لكم تعبي وسهري وسنين عملي ...

ـ إيمان غيلوس ـ

قال تعالى: {**لئن شكرتم لأزيدنكم**} إبراهيم ـ 07ـ

لا يشكر الله من لا يشكر الناس ،فالحمد لله الذي وفقنا لإتمام مذكرتنا ،وقطف ثمار جهدنا،راجينا منه التّوفيق والسداد ،إنّه نعم المولى ونعم النصير ...

فإننا نتقدم بامتناننا للدكتور الفاضل المجِد ، الذي تحمل عبء الإشراف علينا والذي لم نسمع من فاهه سوى عبارات التشجيع والتحفيز فإنها من نبل أخلاقك، فإنّك والله لذخر للعلم وخير وارث للعلماء في وقت نحن فيه ،لمن حمل اللواء لإنتاج جيل متعلم يوثق به أوتاد العلم ، الدكتور {**ميداغين هشام**} ...

فتقبّل منا موفور الثناء ,كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد

الطالبتان : ـ تباني زهيرة

ـ غيلوس إيمان

مقدمة

مقدمة

تعددت الأجناس الأدبية وتعددت الدراسات التي تقارب هذه الأجناس ، وظهر النقد مزامنا لهذه الدراسات، ويعد النقد الثقافي منهجا جديدا ، فقد انبثق من رحم الدراسات الثقافية، وقد عُني بنقد الأنساق المضمرة ، ويهدف للكشف عن الأعماق المعتمة التي لا يبوح بها النص ، ويرد الاعتبار لكل القيم غير الجمالية الكامنة في أحشاء الخطاب، فجاء النقد الثقافي بديلا للنقد الأدبي، وقد شهدت النظريات النقدية المعاصرة تغييرات جذرية، وأدى هذا التغيير إلى الانتقال من قراءة النصوص الإبداعية إلى قراءة الأنساق ، وقد شكلتالرؤية الثقافية أحد المنظورات الجديدة التي عنيت بالخطاب الأدبي العربي وقد كشف هذا النقد نقاطا مهمة في الرواية الجزائرية عامة و النسوية خاصة، الأمر الذي جعلها تكتسي أهمية بالغة في تمرير الرؤى والتصورات التي تلامس العصر لتكشف عن أهم القضايا الإنسانية لذلك وقع اختيارنا على رواية " ذاكرة الجسد " ، لأحلام مستغانمي ، الروائية التي قدمت أدبا جديدا عبر رواياتها التي حققت بها نجاحا باهرا ، نجاح شيده النقاد والكتاب ، فقد رفضت المألوف ورغبت في التجديد ولم يكن لذلك سبيل سوى الكتابة والإبداعالذي اكتشفناه عبر الرؤى الثقافية المتضمنة في الرواية تحت الصياغة التالية للعنوان:

" الرؤى الثقافية في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي "

ولعل من الأسباب التي دفعتنا لدراسة هذا الموضوع ما يلي :

- خضوعا لميولنا في البحث في الأمور التي فيها جدة ومغامرة.
- الوقوف على الجانب الثقافي في رواية "ذاكرة الجسد".
- حبنا للاطلاع على الأعمال الإبداعية النسوية في ميدان الرواية خاصة.

ومن أجل الوصول بهذه الدوافع إلى النتائج المبتغاة من وراء هذا البحث ،فرض علينا البحث إشكالية مركزية موسومة بـ :

ـ ما أبعاد الرؤى الثقافية المتضمنة في رواية "ذاكرة الجسد"؟

ومنها تفرعت مجموعة من التساؤلات الفرعية و التي من أبرزها :

ـ ما مفهوم النقد الثقافي والأنساق الثقافية وعلاقتها بالنص الأدبي؟

ـ أين تتجلى ما بعد الكولونيالية في الرواية؟

ـ فيما تمثلت صراع الذكورة والأنوثة في الرواية؟

وعليه اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على الخطة الآتية والمؤلفة من فصل تمهيدي كمدخل تطرقنا فيه إلى تحديد بعض المفاهيم كالنقد الثقافي والأنساق الثقافية والنقد الأدبي من نقد النصوص لنقد الأنساق،يعقبه فصلين،**الفصل الأول**: تحت عنوان ما بعد الكولونيالية في رواية "ذاكرة الجسد" تناولنا فيه اللغة والمقاومة والحديث عن انتصار اللغة العربية في ظل الهيمنة الاستعمارية آنذاك ثم الهيمنة و الميتروبول والذي عرجنا فيه عن سيطرة المستعمر الفرنسي واستمرار ملامح الهيمنة وبعدها الذاكرة واسترداد الوعي بالحديث عن التذكر والاسترجاع كآلية لاستعادة الوعي بالذات يليه **الفصل الثاني** :تحت عنوان :" الجندر وأسئلة الذكورة والأنوثة في الرواية "تناولنا فيه صراع الذكورة والأنوثة في الرواية وتأنيث السرد وتذكير المؤنث ثم صور الأنثى في الرواية.وختم البحث بخاتمة ، تحتوي أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

و مما لا يخفى على الدارسين أننا لسنا أول من تناول هذا الموضوع، فقد تداولته بعض الدراسات نعدِّدُ منها على سبيل الذكر لا الحصر :

- أخضري نجاة ،الراوي والشخصية في ثلاثية أحلام مستغانمي "ذاكرة الجسد ،فوضى الحواس،عابر سرير" ،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه،جامعة الجيلالي اليابس ،سيدي بلعباس،2016م/1437هـ.

- أ.بوضياف غنية ،كتابة الأنثى /أنوثة الكتابة أحلام مستغانمي أنموذجا ،كلية الأدب واللغات,جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ
- قبنّهالسعيد ,الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة ،مذكرة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث ,كلية الأدب واللغات ،جامعة غرداية ،2020م /1441هـ.

و قد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع والتي يأتي على رأسها المصدر الرئيسي : ـ رواية "ذاكرة الجسد " للكاتبة الروائية أحلام مستغانمي

أما المراجعفأهمها :

ـ النقد الثقافي:قراءة في الأنساق الثقافية ،للناقد العربي عبد الله الغدامي.

ـ دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ،لسمير الخليل.

ـ دليل الناقد الأدبي ،لميجان الرويلي وسعد البازغي .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على منهج النقد الثقافي كما يفصح عنه العنوان لما له من إجراءات ومصطلحات تكتنه حجب اللغة السردية للرواية عبر منظورات محددة تمثلت في ما بعد الكولونيالية والميتروبول والهيمنة والجندر التي نحسبها كافية في الإحاطة بالجوانب الثقافية للرواية على غرار الجوانب البنيوية والجمالية.

ولا يخل أي عمل من صعوبات وعقبات نذكر منها:

ـ ظروف العمل التي حالت بنا إلى التقصير نوعا ما في إتمام هذا العمل مبكرا.

ـ تشعب المصطلحات والنظريات المرتبطة بالنقد الثقافي .

ولا بد أن كل عمل بشري مهما بلغ من الكمال يشوبه النقصان ،فالكمال لله وحده جلّ وعلا، و في الأخير لا يفوتني أن أشكر الأستاذ المشرف على ما قدمه من نصائح وتوجيهات وعلى ثقته الأستاذ "ميداغين هشام" كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر للجنة المناقشة التي تفضلت علينا بقراءة هذه الورقات والله من وراء القصد.

مدخل

مدخل حول مفهوم النقد الثقافي

"حين يعاد مفهوم النقد الى أصوله الإغريقية القديمة و مسيرة تطوره الى عصرنا الحاضر يكتسب إيحاءات تغيب عن فهمنا لهذه المفردة،وفي استخداماتها القديمة الكلاسيكية فإن مفردة "نقد"انتظمت ثلاث فضاءات محددة ،استخدمت في إقامة (العدالة) ,واستخدمها أرسطو ليحيل الى القرار القضائي الذي يبت في أمر خصومة ما ثم تطور الى مفهوم طبي للمفردة فأصبحت تعني اللحظة الحرجة ولحظة التحول في المرض ....وهكذا اكتسبت المفردة موروثا من ثلاثة حقول :الموروث القانوني،والطبي,واللغوي,والفيلولوجي.

واحتفظت المفردة ب معنيين :الطبي حتى القرن 17بما يمكن ترجمته الى العربية ب"أزمة" ،أما ما يمكن نقله الى العربية ب "التمييز النحوي "وأصبح يحيل الى نشاط النحاة ،ولهذا ظلت كلمة ناقد في عصر النهضة تعني "النحوي "أو "دارس النصوص الأدبية القديمة" ،فالنقد إذا, (هو إعادة بناء "النصوص وتحقيقها وتصحيح ما تلف منها "[1]

✓ النقد الثقافي :

يقول آرثر آيزابرجر عن النقد الثقافي :"هو نشاط وليس مجال معرفي خاصا بذاته ...فهو مهمة متداخلة مترابطة متعددة ،فالنقد الثقافي بمقدوره أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي وبقدوره أيضا أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والإنثروبولوجيةودراسات الاتصال وبحث في وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة وحتى غير المعاصرة "[2].

[1] ينظر، ميجانالرويلي ،سعدالبازغي ،دليل النقد الأدبي,المركز الثقافي العربي،الطبعة الثالثة،2002 ،بيروت ،لبنان ،ص302
[2]سمير الخليل ،دليل المصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،1971 ,ص301-302

مدخل

"في دلالته العامة يمكن القول أن النقد الثقافي ،كما يوحي اسمه :نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها "[1].

فظهور النقد الثقافي في أوروبا يعود الى القرن الثامن عشر وبعد التغييرات الحديثة في القرن العشرين أكسبته سمات محددة على المستويين المعرفي والمنهجي لتفصله عن غيره من ألوان النقد ،بصفته لونا مستقلا من ألوان البحث إلا أنه بقي بعيدا عن التقعيد والتنظير، فنسنت ليتش يقول إن الدراسات الثقافية حركة طارئة على تاريخ طويل من النقد الثقافي "يعد التشكل الحديث نسبيا للدراسات الثقافية ،لاسيما ببريطانيا خلال السبعينيات من القرن العشرين ،لحظة تمأسس و ازدهار بارزة في التاريخ الطويل للنقد الثقافي ...

فليتش يحدد معالم النقد الثقافي الذي يدعو إليه ،فيذكر ثلاثة معالم :

أ- أن اهتمام النقد الثقافي لا يقتصر على الأدب المعتمد .

ب- أنه يعتمد على نقد الثقافة وتحليل النقد المؤسسي بالإضافة إلى اعتماده على المناهج النقدية التقليدية .

ت- أنه يعتمد على مناهج مستقاة من اتجاهات ما بعد البنيوية كما تتمثل في أعمال باحثين مثل:بارت ودريدا وفوكو[2]، الذي يميز النقد الثقافي ما بعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي كما قال دريدا : (لا شيء خارج النص) وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي ما بعد البنيوي ومعها مفاتيح التشريح النصوصي عند بارت وحفريات فوكو [3].

أما عند العرب فإرهاصات النقد الثقافي بارزة فيما كتبه طه حسين في كتابه "الشعر الجاهلي "أو في "مستقبل الثقافة في مصر"، وفيما نشره العقاد وجماعة الديوان وبعض المهجريين، وبعض الباحثين

[1]ميجانالرويلي ،سعدالبازغي ،دليل النقد الأدبي,المركز الثقافي العربي، ،بيروت ،لبنان الطبعة الثالثة،2002 ، ص305
[2]ينظر ،المرجع نفسه ،ص306-308
[3]سمير الخليل ،دليل المصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي،ص303

المعاصرين كعبد الله العروي ومحمد عابد الجابري وطه عبد الرحمان وغيرهم ... كما يندرج ضمن النقد الثقافي ما اسماه هشام شرابي بالنقد الحضاري في كتاب له بهذا العنوان .

غير أن المحاولة الوحيدة لتبني (النقد الثقافي) بمفهومه الغربي بشكل مباشر هي محاولة عبد الله الغدامي في كتاب بعنوان :"النقد الثقافي :قراءة في الأنساق الثقافية العربية، محاولة الغدامي تمثل مسعى جاد لاستكشاف مشكلات عميقة في الثقافة العربية من خلال أدوات النقد الثقافي ,ولعل مالا يلاحظ هو أن المؤلف اعتمد في محاولته على ليتش بشكل خاص وان أورد في بداية كتابه عرضا لبعض تطورات الفكر الغربي النقدي ما بعد البنيوي مما يتصل بالنقد الثقافي ومما يمكن اعتباره سياقا غريبا للكتاب مع أن من تفاصيل ذلك العرض مالا يتضح للقارئ مدى صلته بمحور اهتمام المؤلف وهو نقد الشعر العربي بوصفه مكمنا لأنساق الثقافة العربية"[1].

يتحدث د.عبد الله الغدامي حول مفهوم لنقد الثقافي بقوله:" يطرح فنسنت ليتش مصطلح (النقد الثقافي) مسميا مشروعه النقدي بهذا الاسم تحديدا ويجعله رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب ،وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغير في منهج التحليل يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السيسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية ،من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي"[2].

فيعمل النقد الثقافي على تفكيك البنى الثقافية وأنساقها ،والسياقات الثقافية وتحليل الخطاب المؤسساتي والسلطوي وتقويضه ...

✓ النقد الأدبي من نقد النصوص الى نقد الأنساق الثقافية :

لقد كان النقد الثقافي مشروعا جديدا في الخطاب النقدي العربي المعاصر همه الحفر عن مضمرات الخطاب التي ساهمت الثقافة في غرسها بالتوجه من نقد النصوص الى غرس الأنساق {وقراءة النص

[1]ينظر، سمير الخليل ،دليل المصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ،ص 309–310
[2]المرجع نفسه ,ص302

مدخل

الأدبي لا بوصفه حدثا أدبيا فحسب ،وإنما بوصفه حدثا ثقافيا كذلك}،أي الغوص في غياهب النصوص والبحث عن دلالاتها المضمرة التي تتشكل تدريجيا وبخفاء حتى تصبح نسقا ثقافيا يرضخ له الخطاب ويسيّر أفكار أصحابه على نمط واحد جراء انتمائهم لبيئة فكرية وثقافية مشتركة، فالغدامي يدعو الى إحلال النقد الثقافي مكان النقد الأدبي لقدرته على الكشف عن حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل مختلفة أهمها قناع الجمال الذي تتخذه الأنساق ساترا تتخفى وراءه فاعلة أفعالها التحكمية على الذائقة العامة لمستهلكي الخطاب ،كما يدعو الى البحث في علاقة النص بالمؤثرات الإيديولوجية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والفكرية .... ومن هذا حاول إعطاء تعرف جامع له بقوله:" النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن هنا فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معنيٌ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه وصيغه .... فالنقد يهتم بالظروف الخارجية المحيطة بإنشاء العمل بما يسميه البعض "محيط الإنتاج" أي الظروف التي صنعت النص التي أثرت في النص الثقافي نفسه فالانطلاقة تكون من النص والعودة تكون إليه فالسياق هنا ليس مرتبطا بالنص فقط بل بالقارئ والناقد وعملية استهلاك المنتج ثقافيا ،فعملية دراسة النص من منظور النقد الثقافي تعني وضع ذلك النص داخل سياقه الذي أنتج فيه من ناحية ،وداخل سياق القارئ من ناحية أخرى لأن النقد الثقافي يركز على الاستهلاك الثقافي الجمعي والاستقبال الجماهيري لمعرفة فعل الأنساق ,الشيء الذي يجعله نوعا من نقد التلقي أو نقد استجابة القارئ للمنتج الثقافي والأثر الذي يتركه لديه"[1].

[1]عابد لزرق ،الخطاب والنقد الثقافي :مقاربة ثقافية لرواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،مجلة كلية الآداب واللغات ،جامعة خنشلة ،العدد الأول ،ص94–95

✓ الأنساق الثقافية :

" هي تلك العناصر المترابطة والمتفاعلة التي تخص المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق ،والقانون وكل المقدسات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان في مجتمع ما ، إذا فهو دمج لعلاقة الثقافة بالإطار الذي يمثله النسق ، والتي يعنى بها النقد الثقافي "[1].

فالنسق الثقافي قد يعني ما كان على نظام واحد كما في تعريف المعجم الوسيط ، أو قد يأتي مرادفا لمعنى البنية أو معنى النظام حسب مصطلح سوسير .

يأتي مفهوم النسق المضمر في النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا ،والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة ,أهم هذه الأقنعة هو قناع الجمالية أي الخطاب البلاغي الجمالي...فالمقصود هو أن كل خطاب نسقين أحدهما ظاهر واع (ثقافي)والآخر مضمر (نسقي)وهذا يشمل كل أنواع الخطابات الأدبي منها وغير الأدبي ،غير أنه في الأدبي اخطر لأنه يتقنع بالجمالي والبلاغي لتمرير نفسه وتمكين فعله في التكوين الثقافي للذات الثقافية للأمة ويتضح الأمر حينما نحدد شروط (النسق المضمر)وهي كما يأتي :

- وجود نسقين يحدثان معا وفي آن واحد أو فيما هو في حكم النص الواحد .
- يكون أحدهما مضمرا والآخر علنيا ,ويكون المضمر نقيضا وناسخا للمعلن ولو حدث وصار المضمر غير مناقض للعلني فسيخرج النص عن مجال النقد الثقافي .
- لا بد أن يكون النص موضوع الفحص نصا جماليا لأننا ندعي أن الثقافة تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها وترسيخ هذه الأنساق .
- لا بد أن يكون النص ذا قبول جماهيري ويحظي بمقروئية عريضة وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي والنخبوية هنا ليست ذات مدلول لان النخبوي معزول وغير مؤثر تأثيرا جمعيا.

[1] ندى يسرى ،المركزية الذكورية وثقافة النسق ،رسالة المشرق ,,ص353

بهذه الشروط يتحقق مفهوم النسق المضمر وهو كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ماهو غير جمالي في الثقافة "...فالنسق الثقافي هو نسق معرفي اجتماعي فكري يحمل كل ما تفرزه الثقافة في النص أو الخطاب أما المضمر فيحيل عليه شيء في النص ... فالنسق الثقافي هو نسق تاريخي أزلي وراسخ وله الغلبة وعلامته هي اندفاع الجمهور الى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق "[1]

[1]سمير الخليل ،دليل المصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ،ص293-294

الفصل الأول :

ما بعد الكولونيالية في الرواية

الفصل الأول : ما بعد الكولونيالية في الرواية

أوَلا :نظرية ما بعد الكولونيالية :

تعد دراسات ما بعد الاستعمار أو النظرية ما بعد الكولونيالية من أهم النظريات التي رافقت مرحلة ما بعد الحداثة ، لا سيما أن هذه النظرية ظهرت بعد سيطرة البنيوية على الحق الثقافي الغربي ، ولم تعرف طريقها للوجود في مجال النظرية السياسية إلا في أواخر السبعينات من القرن الماضي .

عرفت نظرية ما بعد الكولونيالية عدة تسميات وذلك حسب دارسيها ومتلقيها فمنهم من سماها " النظرية الكولونيالية " أو " الخطاب ما بعد الاستعماري " ومنهم من ترجمها " النظرية ما بعد الاستعمارية " أو " الخطاب ما بعد الكولونيالي" ، وتعدد التسميات ناتج عن طريقة فهمها أو الاختلاف فيما بينها.

ويعني هذا المصطلح "كل ثقافة تأثرت بعملية الإمبريالية منذ اللحظة الكولونيالية حتى يومنا الحالي ، ويرجع هذا الاستخدام إلى استمرار هذا الانشغال طوال العملية التي بدأت بالعدوان الإمبريالي "[1]

"ويُذكر أن هذا المصطلح استخدم في البداية للإشارة إلى أشكال التفاعل الثقافي داخل المجتمعات الكولونيالية في الدوائر الأدبية . وبعد ذلك استُخدم على نطاق واسع للدلالة على التجربة السياسية واللغوية والثقافية لمجتمعات كانت مستعمرات أوربية في السابق"[2]

ومعنى ذلك أن مصطلح الكولونيالية خُصص لدراسة التفاعل الثقافي في المجتمع ، ومن ثم اتسع مجال استخدامه ليشمل مختلف التجارب السياسية والثقافية ..

ويلخص **"حفناوي بعلي"** " أن الدراسات التي تبحث في العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمرا ، وما يقع خارج الغرب من دول وقعت تحت طائلة الاستعمار ، مع ما تتضمنه تلك

[1] محمد زكور : الرواية الافريقية ما بعد الكولونيالية وتشكل صورة الآخر (تشينوا اتشبي والطيب صالح أنموذجا) ، رسالة مقدمة لنيل رسالة الدكتوراه تخصص أدب مقرن ، جامعة الجزائر 2 ، أبو القاسم سعد الله 2-16-2017م ، ص 17

[2] ينظر : بيل أشكروفتوجاريثجريفيث ، وهيلين تيفين : دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية ، تر : أحمد الروبي ، وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010 ، ص 283

الدراسات من تحليل للنصوص الأدبية وغيرها ، للكشف عن إستراتيجياتها الخطابية على النحو الذي يبرزه " إدوارد سعيد " في كتابه " الإستشراق " و " الثقافة لإمبريالية " [1]

فقد وضح هذا المفهوم العلاقة بين السلطة والمعرفة من خلال سيطرت أوربا وهيمنتها لدول الشرق ، ودور النّصوص الأدبية في فضح الخطابات الغربية وعلاقة هذه النصوص بالدراسات ما بعد الكولونيالية.

ويعد " إدوارد سعيد من أوائل الذين صاغوا ووضعوا لبنات هذه النظرية، ويعتبر ممن مهدوا وبقوة للنظرية ما بعد الكولونيالية ، فقد اعتبر ركيزة أساسية للنظرية ويظهر ذلك جليًا في كتابه المعروف " الاستشراق " ، فقد كان هذا الأخير دافعا قويا لجملة من النقاد والمفكرين للكتابة حول ما طرحه "سعيد" من أفكار ، وما أثاره من قضايا في كتاب " الاستشراق " و "الثقافة الإمبريالية " كما سبق ذكرهما ، ونلتمس في هذين الكتابين جميع معالم هذه النظرية والأسس التي قامت عليها ولبناتها ، فبفضلهما اتسعت هذه النظرية وصار لها مجالا أكاديميا ، واتسع أفقها ومداها ، فقد عُدَّ من أكبر المناصرين الذين ناصروا وساندوا قضايا الشعوب المستعمرة الواقعة تحت وطأة الاستعمار والاستبداد فقد خصَّص في كتابه "الثقافة الإمبريالية" للحديث عن قضايا اللاجئين والمنفيين ، خاصة القضية الفلسطينية ، والذي خصّص لهذه الأخيرة كتابا أسماه " مسألة فلسطين " .

ومنه " صارت تغطي بتساؤلاتها عن العلاقة بين السلطة والمعرفة وموضوعات أخرى كتاريخ الغزوات ، ومناهضة الاستعمار ، وطرق الهيمنة الثقافية "[2]

ويعد أدب هذه النظرية قراءة تفكيكية للنصوص الكولونيالية بغية كشف إيديولوجياته الاستعمارية المقصودة أو غير المقصودة ، ولفضح الدعاوي الحضارية التي يتبجح بها الخطاب الأوربي وسياساته

[1] حفناوي بعلي ، مسارات النقد ودارات ما بعد الحداثة ، أمانة عمان الكبرى ، الأردن ، ط1 ، 2007م ، ص 142
[2] ينظر : ك نلوولف وآخرون ، موسوعة كمبدريدج في النقد الأدبي القرن العشرين المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية ، تر : اسماعيل عبد الغني وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ج9 ، ط1، 2005م ، ص 339

الاستيطانية ومن أبرز هذه النصوص نذكر " موسم الهجرة إلى الشمال لـ: "الطيب صالح" و "ذاكرة الجسد " لـ: "أحلام مستغانمي" .

ومنه فهي ثورة فكرية وأدبية ضد كل أنواع القهر الإنساني ، والظلم والاستبداد . كما أنها استطاعت إثبات ذاتها وقدراتها بالاستفادة من اجتهادات دراسات المعاصرين والاجتهادات السابقة .

قيل عن الكاتبة لـ**أحلام مستغانمي** في لجنة تحكيم جائزة "نجيب محفوظ التابعة للجامعة الأمريكية بالقاهرة سنة 1998 :"إن الكاتبة الجزائرية **أحلام مستغانمي** نور يلمع وسط هذا الظلام الكثيف ، وهي كاتبة حطمت المنفى اللغوي الذي دفع إليه الاستعمار الفرنسي مثقفي الجزائر ، جمعت روايتها "ذاكرة الجسد " بين منجز الرواية العالمية وطرائف الحكى المحلية الموروثة كتبت بلغة عربية جزلة وحس فني مرهف ، تتمتع باختصار تشكيلي جمالي فريد ، وبسرد محكم يدعو إلى الدهشة والإبهار "[1]

حين كتب سارتر كتابه (عارنا في الجزائر) كان يكشف عن صورة من صور وأشكال العنف والتعذيب وإهدار المستعمر الفرنسي لكرامة الإنسان الجزائري.[2]

إن هذه المضامين المتأصلة في أعماق النفس البشرية التي تعبر عنها اللغة هي التي تجعل هذه الأخيرة الناطق الرسمي والمعبر الأول في الرواية عن الوجود .

في فترة ما بعد الاستعمار طرحت العديد من الإشكاليات الجوهرية التي تتعرض لعلاقة الأنا بالآخر أو علاقة الشرق بالغرب ، أو علاقة الهامش بالمركز ،أو علاقة المستعمر بالشعوب المستعمرة الضعيفة، يذكر منها جميل حمداوي :"كيف أثرت تجربة الاستعمار على هؤلاء الذين استعمروا من ناحية ، وأولئك الذين قاموا بالاستعمار من ناحية أخرى ,كيف تمكنت القوى الاستعمارية من التحكم في هذه المساحة الواسعة من العالم غير الغربي؟ ما الآثار التي تركها التعليم الاستعماري والعلم والتكنولوجيا الاستعمارية في مجتمعات ما بعد الاستعمار ؟ وكيف أثرت النزعة الاستعماري؟ كيف أثر

[1] عن "موقع أحلام مستغانمي " على شبكة المعلومات

[2] أحمد عبد الحليم عطية ,ما بعد الكولونيالية في ما بعد الحداثة حلقات الجدل ،صفحة 160.

التعليم الاستعماري واللغة المستعمرة على ثقافة المستعمرات وهويتها ؟ كيف أدى العلم الغربي والتكنولوجيا والطب الغربي إلى الهيمنة على أنظمة المعرفة التي كانت قائمة ؟[1].

"ولما كانت اللغة مادة غير قابلة للنفاذ ،ويقوم استخدامنا لها على التكرار المستمر فإننا نقوم بتكرار وإعادة تمثيل القيم الذهنية المرسخة في اللغة دون أن نعي ذلك ".[2]

تعد الرواية من أقوى الأجناس الأدبية الحاملة لآثار الاستعمار في لغتها وهذا ماهو باد في رواية ذاكرة الجسد للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي لأن معظم أحداثها تدور حول آثار حرب التحرير .فهذه الرواية تعتبر من أدب ما بعد الحرب لأنها كتبت في فترة تاريخية لاحقة للاستقلال .

ارتبط عنوان الرواية بعلامتين مهمتين ، تمثلت الأولى في لفظ "ذاكرة " وما يمكن أن يحيل أليه من دلالات ترتبط بالزمن الماضي ،ماضي الثورة " **غدا سيكون قد مرّ أربع وثلاثون سنة على انطلاق الرصاصة الأولى لحرب التحرير ويكون قد مرّ على وجودي هنا ثلاثة أسابيع ,ومثل ذلك من الزمن على سقوط آخر دفعة من الشهداء**"[3]،فهذهالزمنية تنتهي إلى زمن ماضي ممتد في نفسية متهرئة تتهددها قساوة الحاضر وعنف الماضي .

أما العلامة الثانية فتتمثل في "الجسد" باعتباره حاملا لعلامة ثابتة لا تتغير، جسد منقوص منه ذراع .يظل يحاسب ذاته التي حملها في كل رغباتها ورحلاتها .لكن ظل الوشم اللائح الذي لا يمحى بمرور الزمن ,وهذه العلامة مرتبطة بالحرب والثورة بل تحمل العلامة الرئيسية التي توسم البطل بشهامته وقدرته.[4]

[1] أحمد عبد الحليم عطية ,ما بعد الكولونيالية في ما بعد الحداثة حلقات الجدل ،صفحة160.
[2] عبد الله الغدامي ،النقد الثقافي، ص 87
[3] أحلام مستغانمي ,ذاكرة الجسد ,صفحة24
[4] عمارة الجداري ,سياقات ،من علامات أدب ما بعد الحرب في رواية ذاكرة الجسد ,ص23

و مما يمكن ملاحظته هو بروز الأحداث الثورية والسياسية وحضورها في معمار الرواية، فقد تم توظيف الماضي الاستعماري بعناصره ورموزه بوصفه تراثا "ولعل التراث هو إحدى تلك الصور ،حيث يعد من خصائص الرواية الجزائرية "[1] .

فقد حملت لغة هذه الرواية ملامح للثورة التحريرية المقدسة ،مثل عرض الأحداث الثورية بطابع من السرد " **وكان سي الطاهر بعد لأكثر من معركة ناجحة اشتركت فيها، قد بدأ تدريجيا يعتمد عليّ في المهمات الصعبة .....وجاءت تلك المعركة الضاربة التي دارت على مشارف {باتنة}لتقلب يوما كل شيء فقد فقدنا فيها ستة مجاهدين ,وإذا بمجرى حياتي يتغير فجأة وأنا أجد نفسي من ضمن الجرحى الذين يجب أن ينقلوا على وجه السرعة إلى الحدود التونسية للعلاج**" [2].

إضافة إلى التأريخ لأحداث قمع المستعمر لانتفاضة ماي 1945" وكان سجن {الكديا} وقتها ككل سجون الشرق الجزائري يعاني فجأة من فائض رجولة إثر مظاهرات 8ماي1945 التي قدمت فيها قسنطينة وسطيف وضواحيها أول عربون للثورة متمثلا في دفعة أولى من عدة آلاف من الشهداء سقطوا في مظاهرة واحدة وعشرات الآلاف الذين ضاقت بهم الزنزانات " ولم يهمل البطل في هذا التأريخ لالتحاقه بالجبهة " سنة 1955 ....وفي شهر أيلول بالذات التحقت بالجبهة"[3].

1- اللغة وما بعد الكولونيالية :

إن الإنسان بوصفه كائن دائم الحركة ،هذا ما يفرض عليه التطور في طبيعة حياته ومنتجاته ،والتي يعد الأدب من أرقاها فهو الأكثر عرضة للتغيير لتنوع قرائح منتجيه فالأدب بشتى أصنافه هو المرآة العاكسة للمجتمع التي يصور فيها الأديب المبدع بيئته وعقائده وعصره....

[1] جعفر يايوش ,الأدب الجزائري الجديد التحربة والمآل ,المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ،وهران ,دط,ص72.
[2] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد,ص35
[3] عمارة الجداري ,سياقات ،من علامات أدب مابعد الحرب في رواية ذاكرة الجسد ,ص23

"فالمجتمع ينتج ثقافة ويبدع رموزا انطلاقا من وجود علاقات وثيقة بين الصور الذهنية والممارسات التي المختلفة التي تسجلها الذاكرة بوصفها أسلوبا من أساليب التعبير عن الهوية ونقل المعرفة والثقافة ،وأنساقا مهيمنة تسهم في تحريك الذائقة وتطعيم الإبداع "[1]

فالرواية تعتبر جزءا من الأدب وباعتبارها أحد إنتاجات المجتمع فإنها تحمل ما يدور فيه باعتبار الأديب هو المتأثر الأول بالأحداث.

يصنف ضمن أدب ما بعد الحرب كل ما كتب عن حقبة تاريخية لاحقة لاستقلال الأقطار المحتلة ،واهتم بهذه النظرية دارسون ونقاد متوسلين بمناهج متعددة ومواضيع مختلفة فمن المنظرين الأوائل لأدب ما بعد الكولينيالية :"إدوارد سعيد"،و"هومي بهامها" (homik.bhabha)،و"غياتري"(ghayatrichakravortyspivak).[2]

فاللغة بحسب تعريف لاروس الفرنسي، هي عبارة عن "نظام مدلولات شفاهية خاصة بكل مجموعة من الأشخاص ، تستعمل للتعبير أو الاتصال بعضها مع بعض" ، فاللغة لا يمكن أن تكون مجرد وسيلة اتصال محايدة ، بل إنه يصدق عنها قول كريستين فريشات

القائلة " اللغة حاملة لهوية قيم تاريخ ،معنى، إنها تحقق التلاحم الاجتماعي وتدعم تنامي الإحساس بروح الانتماء الى المجموعة .[3]

اللغة : أفضت التجربة الاستعمارية إلى بروز ظاهرة ثقافية لم تكن معروفة في التاريخ من قبل إلا في نطاق ضيق وهي تبني لغة المستعمر وسيلة للتعبير عن مشكلات المجتمعات المستعمرة ، فأصبح المستعمر غير مسيطر على تلك المجتمعات ، وتم استعارة لغته للتعبير عن البطانة الداخلية لمشاعرها وأحاسيسها وطموحاتها ومشكلاتها وتاريخها ، وتم إعادة إنتاج موروث بلغة المستعمر ..، وكانت هذه اللغة حاملة للمرجعيات الثقافية والاجتماعية ..

[1] نبيل ياسف ـ نوال قرني ،الرواية الجزائرية المعاصرة في ضوء النقد الثقافي ,مذرة ماستر ,2017– 2018،جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل ،ص(أ) من المقدمة.
[2] عمارة الجداري ،سياقات (من علامات مابعد الحرب في رواية ذاكرة الجسد) 2018،ص28
[3] منى طواهرية ،اللغة والهوية الوطنية في محك الإرث الاستعماري ،مجلة بدر ،المجلد 10،العدد 1، سنة 2018 ,صفحة76–77

" وأدى ذلك إلى مزاحمة اللغة الأصلية في الشرق الأوسط وقد تأتى عن ذلك اجتثاث جزء كبير من الذاكرة التاريخية أو تخريب الوعي بها فلم تبقى مرتكز الهوية إنما أصبحت عبئا يذكر بالماضي " [1]

وكانت الازدواجية اللغوية من أسباب زعزعة الوعي بالذات ، وفي بدايات التشكل عبر سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي .

ومنه فقد كانت اللغة الوسيلة الأساسية للتعبير عن معاناة الشعوب المستعمرة ، والسيف الذي قطعت به أفواه العصاة و المتجبرين الذين حرموا الحرية عن أصحابها .

2- اللغة والمنفى :

"الحب لا يعيش إلا برئتيه : الوصال والبعد "[2].

كذلك المبدع ، ليكتب يحتاج إلى رئتين : رئة الوطن .. ورئة المنفى (منشور على الفيسبوك سنة 2014)

من الظواهر التي كانت سائدة لدى بعض الكتاب ظاهرة الاغتراب ، فهو من المواضيع الهامة التي نالت حيزا كبيرا في الدراسات الأدبية سواء على النطاق الغربي أو العربي لكونه ظاهرة ترتبط بالوجود الإنساني، وتعددت في هذه الدراسات الأدبية لجنس الرواية ، كونها تعد شكلا من الأشكال السردية ، التي ساهمت ونجحت في التعبير عن الواقع وكذا عالجت القضايا الاجتماعية ، والإنسانية والأخلاقية وكل ما يخص الإنسان ويخص علاقاتها بمجتمعه .

وقد جسد شكل الرواية الواقع الاجتماعي فقد سردت ظواهر الحياة الاجتماعية ، ظاهرة المنفى والاغتراب ، فنجد هذه الظاهرة متجلية بشكل ظاهر في هذا النوع من الأجناس الأدبية ، تجلت عربيا عند كتاب الرواية في الوطن العربي ، ولم يقتصر الأمر عليهم بل تعدى لكتاب الرواية الجزائرية ،

[1] عائشة لعبادلية ، قراءة في مرجعيات خطاب النقد الثقافي لدى إدوارد سعيد ، الممارسة الأدبية عند العرب ولدرس المقارن ، أعمال المتلقي في الأدب المقارن ، منشورات مخبر الأدب العام المقارن ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، أفريل ، 2015م ، ص 276

[2] أحلام مستغانمي ،ذاكرةالجسد,ص

ظهرت فيه الكاتبة "أحلام مستغانمي " بشكل واضح وجلي كنموذج للدراسة وذلك لعدة أسباب منها :

- معاناة الكاتبة نتيجة اغترابها وعيشها في المنفى .
- تصدع الذات وتجلي الإحساس بالضياع .
- وعي الكاتبة بالقضية الجزائرية وبتحولات الجزائر .

انعكست الأزمات على طبقة المثقفين مما جعلتهم يبحثون عن ذواتهم وعن الوطن الذي فقد هويته، فلم يكن لذلك سبيلا إلا الغربة والاغتراب واتخاذ المنفى وطنا لهم ، وطنا بديلا في غياب بديل للواقع.

وقد حققت الكاتبة " أحلام مستغانمي" نجاحا وحضورا كبيرين في مجال كتابة الرواية ، كون هذه الأخيرة اهتمت بكل من اللفظ والمعنى ، ولكونها تأثرت بالمنفى كانت لها علاقة قوية بين شخصياتها المجسدة في الرواية ، والتي جسدت فيها بصورة جلية ظاهرة الاغتراب والمنفى ، ولكون الرواية قائمة على شخصية رئيسة وهي شخصية **"حياة"** ابنه أحد شهداء الجزائر (سي الطاهر) صديق الراوي خالد وصاحبه في الكفاح المسلح ضد المستعمر

3- صراع اللغة العربية واللغة الفرنسية في الرواية الجزائرية :

اللغة كائن حي يطرأ عليها ما يطرأ على الكائنات الحية وجماعاتها ، فالمجتمع لا يقوم إلا بها ، وقد يقوم المجتمع على ثنائية لغوية ، فتتأثر كل لغة بالأخرى فيحدث ما يعرف "بالصراع اللغوي" ، فتكون هناك دائما لغة منتصرة ولغة أخرى مغلوبة ، وهذا ليس شرطا موجودا دائما فيمكن أن تتعايش اللغتان مع بعضها البعض وجنبا إلى جنب ،وقد ينشأ الصراع بسبب عوامل كثيرة ، منها العامل الناتج عن الحروب والغزو ، فإذا حدث غزو بين شعبين وكان الشعب الغازي يتكلم لغة غير لغة أصحاب البلاد الأصليين ، فإنه مع مرور الأيام والزمن والصراع بين اللغتين ، وليس من الضروري أن ينتهي هذا الصراع موافقا لنتيجة المعركة الحربية ، فقد يكون الشعب المغلوب أصلب عودا وأكثر تمسكا بلغته ، أوقد يكون عكس ذلك بأن يكون ضعيفا مستسلما ، كما أنه من عوامل الصراع

اللغوي الناتج عن التجاور بين شعبين مختلفين في اللغة ، مما يتيح لأفرادهما فرص الاحتكاك المادي والثقافي ، وفي هذه الحال يتحقق أحد الاحتمالين الآتيين :

إما أن تنتصر إحدى اللغتين على الأخرى وتصبح هي اللغة السائدة

إما أن تستويا في القوة ، فتبقى كل منهما محتفظة بشخصيتها ومميزاتها[1]

وقد أتيحت للغة العربية الكثير من الفرص للاحتكاك باللغات الأخرى ، وذلك بسبب امتزاج العرب بالكثير من الشعوب عبر مختلف العصور ، فقد خاضت العربية صراعا مع اللغة الآرامية واستطاعت التغلب عليها ، كما خاضت صراعا مع اللغة الفارسية ، وباحتكاكها بالفارسية أثرت كل لغة بالأخرى وتأثرت بها ، وتأثرت اللغة التركية هي الأخرى بالغة العربية، كانت كل هذه الصراعات على مستوى القديم والحضارات القديمة ، أما فيما يخص صراع اللغة العربية بغيرها من اللغات حديثا ، فقد واجهت العديد والكثير من الصراعات ، كان أهم سبب لذلك الحملات الحربية الصليبية ، وفي خضم كل هذه الصراعات نجت اللغة العربية من أي انحراف واستطاعت المحافظة على جميع مبادئها ، وجوهرها ومعدنها ، وسبب ذلك أن الله سبحانه وتعالى حفظ لغة كتابه الكريم من أي زيغ وضلالة ، فقد حفظ هذا الدستور السماوي أي زيغ وضلالة يمكنه أن يمس بثوابت اللغة العربية ، فقد حفظ سبحانه وتعالى لغته ودلَّ على ذلك في كتابه الكريم **لقوله تعالى { إِنَا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [سورة الحجر 9]**

عاش المجتمع الجزائري بعد الاستعمار صراعا لغويا ، وكان أهم سبب لذلك التجربة الاستعمارية الفرنسية الاستيطانية ، تجربة دامت أكثر من قرن وربع ، ولدت هذه الأخيرة صراعات على جميع المستويات ، خاصة المستوى اللغوي ، فراح بعض الكتاب الجزائريون يكتبون باللغة العربية فقط ، كما نحا آخرون المنحى الذي كفَّروا به بني جلدتهم ، تحت ما يسمى "التكفير اللغوي" ، وهذا ما فعله الأدباء الجزائريون الفرانكفونيون فقد ارتقوا باللغة الفرنسية إلى مستويات أدبية لم يستطع حتى الكتاب

[1] مقدمة لدراسة فقه اللغة ، محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة 1 ، 1996م ، ص 117

الفرنسيون الوصول إلى هذا المستوى والإبداع من الكتابة ، فقد دافع هؤلاء دفاعا شديدا عن اللغة وعن استعمالها سواء داخل النص السردي أو خارجه .

ومن بين الروايات التي تصدت لهذا النزاع اللغوي هي رواية الكاتب "عبد الحميد بن هدوقة" المسماة "بان الصبح" ، فقد خاضت هذه الأخيرة حربا بين اللغتين العربية والفرنسية .

وكان من أهم الصراعات التي واجهتها اللغة العربية "الصراع اللغوي" ، فهو من أبرز الصراعات التي واجهها العصر الحديث ، كان الهدف منه مسخ ومسح اللغة العربية والقضاء عليها كليا ، وظلت هذه الأخيرة محافظة على نفسها وذلك بسبب المساجد وحلقات الذكر وتدارس القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف.، وكان هذا الصراع أكثر ضراوة في موطن المغرب العربي ، وكان أشد الدول تأثرا بذلك المغرب والجزائر ، حيث نجد أن متحدث هذه الأخيرة يخلط في كلامه بين مفردات وأساليب عربية بأخرى فرنسية ، فلم يؤثر هذا الصراع على استعمال اللغة بين عامة الناس وخواصها فحسب ، إنَّما امتدَّ إلى الأعمال الأدبية خاصة الرواية ، ومن بين الكتاب الذين أحدثوا ضجة حول موضوع الصّراع اللغوي في الرواية ، الكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي" فقد كانت رواياتها مسرحا جدليا حول اللغة في البلاد ، فقد كان هناك من يحاول استغلال نجاحها الجماهيري لصالح قضيتهم ، فقد وصفوا لغتها ب **"المشرقية"** التي لا تعبر أبدا عن الروح الأصيلة الجزائرية ، وتظل هذه انتقادات لا أساس لها من الصحة فقد كانت الكاتبة " **أحلام مستغانمي** "كما هو مُدوَّن في سيرتها أول كاتبة جزائرية تكتب باللّغة العربية ، حيث كان معظم الكتاب والأدباء الجزائريون يكتبون باللغة الفرنسية ثم تترجم أعمالهم للغة العربية ، تجسد نجاحها وانتشرت شهرتها ، وأُسمع صوتها بعد الثلاثية التي كتبتها " رواية ذاكرة الجسد ، فوضى الحواس ، ثم رواية **عابر سرير** " مكَّنت هذه الثلاثية للكاتبة أحلام مستغانمي أن تصل لمراتب لم يصل إليها كاتب قبلها ، كان سر نجاحها في استعمال اللغة العربية التي عبرت بها عن معاناة الشعب الجزائري ، وحافظت على رونق لغتها ، فكتبت صراعات أبناء الجزائر بلغة شعرية تكاد تصل للقلوب وتعبر عن شتَّى معاناتها ، حملت الثلاثية بين طياتها معانات الشعب

الجزائري فكانت مع بعضها البعض تشكل سلسلة وحلقة روائية دافعت بها الكاتبة عن آمال أبناء وطنها.

ألفت "ذاكرة الجسد" سنة 1993م وأصدرت طبعتها الأولى في بيروت اعتبر النقاد هذا العمل الأدبي أهم عمل روائي عربي قد صدر في العشر السنوات الأخيرة ، والحلقة الثانية من سلسلة أحلام مستغانمي "رواية" فوضى الحواس " التي صدرت عام 1997م ، مزجت الكاتبة من خلالها بين متناقضين الحب والكراهية ، والحياة والموت ، تحدث فيها عن الوطن وعن الجزائر ، وخُتمت هذه السلسة برواية "عابر سرير" التي أصدرتها عام 2003م ، تابعت الكاتبة فيها الحديث عن الشعب الجزائري وعن الثورات التحريرية ، وبهذا استطاعت اللغة العربية أن توصل صوت الجريح الجزائري ونداء الثورة لكل العالم ، فقد تغلبت على اللغة الفرنسية واستطاعت "أحلام مستغانمي " أن تفعل ما عجز عليه الكتاب الجزائريون الذين يكتبون باللغة الفرنسية ، أحلام مستغانمي ولكونها تتقن اللغة الفرنسية وتستطيع الكتابة بها ، إلا أن اختيارها للغة الأم كان أكبر ردٍ وأقوى سلاح مكَّن للغة العربية أن تحتلَّ مكانة كبيرة، سواء على المستوى المحلي أو الوطني أو العالمي ، وجعل هذا العمل مادة دسمة للنقاد يتهافتون لدراسة أعمالها خاصة "الثلاثية" سالفة الذكر .

وهذا لا يعني أن ننفي دور الكتاب الجزائريين الذين استطاعوا استخدام اللّغة الفرنسية كأداة للدفاع عن مبادئهم ، واستعملوها ليسمعوا صوتهم لفرنسا الاستعمارية ، ولينقلوا واقعهم وأحلامهم ، فقد كان ذلك كله خدمة للقضية الوطنية الجزائرية ومنه فإن الكتابة باللغة الفرنسية نتاجا للظروف التاريخية التي عايشتها الجزائر إبان الثورة الجزائرية .وفي ظل هذا الصراع اللغوي استطاعت أحلام أن تدافع عن كل قلب جزائري ، وتترجم معاناته وحسرته ، فقد نجحت ، وقدمت ما عجز عليه الكتاب قبلها خاصة الذين كتبوا باللغة الفرنسية ، و حافظت بذلك عن هويتها وهوية وطنها وشعبها ونقلت معاناته لكل قطر في العالم .

ثانيا :الهيمنةوالميتروبول :

من المصطلحات التي استخدمت في الخطابات الكولونيالية الاستعمارية مصطلحا **"الهيمنة والميتروبول"**، فظهرت الهيمنة أو السلطوية من الدول المستعمِرة إلى الدول المستعمَرَة ،أما الميتروبول فهو مصطلح مرتبط أيضا بالاستعمار او بالعاصمة الاستعمارية .

1-الهيمنة:

ويعتبر مصطلحا يفرضه فرد أو جماعة أو مؤسسة لتحقيق مصلحة للمتسلط ، فقيل مثلا "أن الدولة الفرنسية تمارس هيمنتها على الجزائر" ، كما كان الحال قديما قبل استقلال الجزائر ، ويشير مصطلح "الهيمنة" إلى القيادة والحكم عرفها المفكر الإيطالي (**أنطونيو غراميشي**) جاءت الهيمنة ليس بمفهومها " السياسي المباشر ، أنما من خلال رؤية العالم للطبيعة والعلاقات الإنسانية يشيعها أفراد مثقفون أو نخبة مثقفة أو مؤسسات ثقافية لتحل بديلا لرؤية سابقة ، ولتسهم في التغيير الطبقي الذي سعى الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات لإحداثه ، ويعني بذلك نمطا في التغيير الاجتماعي والثقافي .." ومنه فالتعريف يشير بشكل مباشر لنوع من أنواع الهيمنة وهي "الهيمنة الثقافية "[1]

ومنه فالهيمنة في الأصل " مصطلح يشير إلى تسلط دولي عن طريق السيطرة بالقبول .. وهذا المصطلح مفيد لوصف نجاح القوة الإمبريالية مع الشعب المستعمر الذي ربما يفوق بكثير عدد أي قوة عسكرية محتلة ، لكن تقمع رغبته في تقرير المصير .. "

أمَّا الاستعمار أو ما يسمى بالاستدمار الذي حلَّ بالجزائر أكثر من قرن ونصف ، فتعريفه يختلف عما ذكر سابقا، فقد جاء لمسخ هوية ، ومحو العروبة ، والقضاء على أسس الدين التي كان يقوم عليها كل فرد جزائري ، فجاءت خطابات لتعبر عن كل قلب جزائري وطموحاته ، ولتسمع صوته خارج حدوده التي أغلقتها عليها فرنسا بقبضة من حديد ، فلم يبق الكتاب الجزائريون مكتوفو

[1] سمير الخليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي "إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة " ، مراجعة وتعليق _ سمير الشيخ _ دار الكتب العلمية ، بيروت ، دط ، دت ، ص 324

الأيدي أمام كل هذا التسلط والهيمنة الضارة بل أخذوا يكتبون بأقلامهم ودمائهم ، وكذا بدموعهم التي سقوا بها كل حرف قد كتبوه ، فتولَّد أدب سُمِّي بأدب ما بعد الاستعمار ، وكان من أهم رواده الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي التي عبرت بها عن نبض الثورة وسخونة الذكرى ، تحولت إلى مادة سردية نتيجةً للاحتكاك والتفاعل بين التاريخ والجسد والمكان ، فقد حولت الكاتبة الثورة لمادة دسمة ساهمت في سعة المشهد السردي، فقد كتبت أحلام بصوت شعبها وضمير وطنها، وكذا كتبت بإيقاع الثورة ، فتحولت روايتها "ذاكرة الجسد" لخطاب ثوري بامتياز يعتمد على الذات والذاكرة ، أو بما يسمى الذاكرة والاسترجاع، فكانت "ذاكرة الجسد" خطابا مركبا يمزج بين حكي الحدث الآني والحدث المسترجع من الذاكرة ، ومنه اتخذت الكاتبة من الثورة التحريرية رمزا ، حملت به أبعادا متعددة وقد رمزت للكثير من المدلولات ، فقد ظهرت "الثورة "كأمٍ وحبيبة ووطن وامرأة .

2-الميتروبول:

يرتبط مصطلح الميتروبول بالمركز والهامش كثنائية أساسية عبرت عنها القوات الكولونيالية في تعاملها مع المستعمرات التابعة لها، والحديث مثلا عن المراكز الكلونيالية الكبرى كانجلترا وفرنسا واسبانيا كحواضر حاضنة للثقافة على غرار السياسة والاقتصاد، و"..في التاريخ اليوناني كانت الدولة الام بالنسبة للمستعمرة تسمى الحاضرة"metropolis"سجل اول استخدام محدد للمصطلح للإشارة الى الموقف الكولونيالي الحديث والذي فيه حواضري ميتروبولي تعني ينتمي إلى او يكون الدولة الام ..."[1].

والملاحظ في مصطلح الميتروبول هو اشارته إلى هيمنة العاصمة الكلونيالية ثقافيا، فعندما نتحدث عن باريس فنحن لا نتحدث عن عاصمة فرنسا بقدر ما نتحدث عن السلطة الكلونيالية واحتكارها للثقافة حيث باريس قبلة للمستعمرات التابعة لها أو التي كانت تابعة لها بمفهوم ما بعد الكلونيالية، وهو ما نجده عند الكثير من الروائيين الجزائرين الذين هاجروا إلى باريس واشتهروا هنالك مثل يسمينة

[1]- ينظر : سمير خليل : دليل مصطلحات الدراسات الثقافية، ص267.

خضرا، وكمال داود..وغيرهم كثير، حيث تغدو العاصمة باريس مركزا للتأثير الثقافي، ومنطلقا للأدباء والمثقفين من خارجين لنيل الشهرة والاحتفاء في كامل الدول الفرونكفونية، وهو ما نجده ماثلا في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي التي تعكس مفارقة المكان بين باريس وقسنطينة ومفارقة اللغة بين الفرنسية والعربية في محاولة لاختراق الاحتكار الكلونيالي الذي يمثله المكان الميتروبول في مقابل الضواحي او المستعمرات التابعة.

ثالثا : الذاكرة واسترداد الوعي بالذات:

ومنه اعتمدت الكاتبة على رمز المرأة للدّلالة على الوطن كما أن أهم تقنية اعتمدتها **"مستغانمي"** في تأثيث الزمن الحكائي وشغل فضاءاته، هي تقنية الاسترجاع، والتذكر عبر تدخلات الأحداث، باستعادة ما مضى منها، وقالت" لعل هذا ما نواجهه منذ اللحظات الأولى لولوجنا عوالم الثلاثية الروائية :تقول **"مستغانمي"** في رواية ذاكرة الجسد" ما زلت أذكر قولك ذات يوم .."..وفي رواية فوضى الحواس" تذكر أنه يومها أطبق على الحزن ضحكة ومضى دون أن تعرف تماما ماذا كان ينوي أن يقول .."أو في المقطع التالي من روايتها" عابر سرير" :**"أذكر يوم صادفتها في ذلك المقهى** .."... ليعرف الخط الزمني المؤطر للمحكي مجموعة من التموجات والتداخلات بين الماضي، وحاضر السرد، لتلجأ الروائية في ثلاثيتها إلى" إحداث تفاوت واضح بين السرد وزمن الأحداث، والغاية من ذلك هي إرضاء الحس بالجديد لدى القارئ، وتشغيل ملكته المنطقية والرياضية، وجعله بصورة عامة يواجه عملا مميزا عما هو مألوف لديه، عملاً يخلخل أفق انتظاره"، مما ينشأ عنه كسر في التتابع الطبيعي للأحداث.

1. ذاكرة المكان (باريس ، قسنطينة) في الرّواية :

ويطلق على مجموع الأمكنة "الفضاء الروائي"

- **اصطلاحا** :المكان في الاصطلاح كل حدث يقع فيه ، فالمكان عنصر ضروري لحيوية الرواية والفضاء في الشعرية ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ، ولكنه أيضا أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها [1]

لذا لا بد أن يكون وصف المكان وصفا حيا لكي يتعايش القارئ مع أحداث الرواية كأنها حقيقة ، لذا فلا بدَّ أن يكون الكاتب قد زار المكان من قبل وصفه ليتسنى له الوصف ويسهل عليه وصفه بدقة دون نسيان التفاصيل ، ولقد لعب المكان دورا بارزا وحيويا في الروايات العربية المعاصرة ، إذ يعدُّ المكان عنصرا بنائيا يساهم في تشييد الرواية

ومن بين الأمكنة المتكررة في الرواية والتي برزت بشكل كبير وساهمت أيما إسهام في البناء السردي لرواية "**ذاكرة الجسد**" " **قسنطينة** " وما تحمله من رمزيات ، وكذا باريس والجزائر .

- **قسنطينة** : هي مدينة السارد نفسه ، وا لذي أُبعد عنها جبرا وقسرا ، بعدما تم اعتقاله أيام الاستقلال ، وعاد إليها قسرا ، ويرتبط هذا المكان بأكثر الأحداث تأثيرا في حياة السارد يقول "**خالد بن طوبال** " " **ها أنا أصبحت الابن الشرعي لهذه المدينة التي جاءت بي مكرها مرتين ، مرة لأحضر عرسك .. ومرة لأدفن أخي، فما الفرق بين الاثنين ؟ لقد مات أخي في الواقع مثلما مِتُّ أنا في ذلك العرس** "[2]

فالسَّارد لا يحدد مدينة " **قسنطينة** " باعتبارها مكانًا مرجعيا احتضن أحداث الرِّواية بل إنه يحددها ويصفها من منظور ذاتي ، فتغدو صورة المدينة لا صورة مرجعية بل صورة مثقلة بأوجاع الذات وانفعالاتها وبذلك يكون عدم التطابق بين المكان المرجعي والمكان اللغوي هو المولد

[1] ينظر : حسن البحراوي ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 2009م، ص281)
[2] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد ، ص 403

لشعرية المكان ، ومنه فإن وصف السارد للمدينة لم يكن وصفا موضوعيا محايدا بل كان وصفا ذاتيا انفعاليا ، وبذلك يتسم الوصف بسمات شعري ، حيث بدا وصف السارد للمدينة عندا أُرغمَ على العودة إليها بعد مقتل "حسَّان" أخوه ، فكيف سيكون وصفه لها عندما عاد إليها لحضور حفل زفاف حبيبته ؟

وقد حملت مدينة قسنطينة أبعادا رمزية نلمس فيها المرأة مثلها نلمس الأم الحبيبة ، وهذا ما جاء على لسان "خالد" **فحياة المرأة هي قسنطينة التي ربَّاها صغيرا وكان شاهدا على ولادتها " كنت أتدحرج يوما بعد يومٍ على هاوية حبّك أصطدم بالحجارة والصخور وكل ما في طريقي من مستحيلات ولكنَّني كنت أحبك** .. "[1]

- **باريس:** يمتد المكان من قسنطينة إلى باتنة وتونس وباريس بخط مستقيم ثمَّ يمتدّ من قسنطينة إلى باريس بخط مستقيم أيضا ، ويمتدّ خط إضافي إلى لبنان ومؤشرة فلسطين والعدوان الإسرائيلي ، إن "باريس" هي مدينة "كاترين" التي تشارك البطل وحدته وغربته ، وتعني كذلك مكان لقاء الأحبة لأن "خالد" التقى بحبيبته "حياة" في باريس وفي الأخير عاد إلى بلده بسبب وفاة أخيه واستقرَّ بقسنطينة معطوب الذراع والأحلام .

وكما ذكرنا آنفا فينبغي أن نلاحظ الطرق التي تمت إدارة تلك الإمبراطوريات من خلالها ومواقف الكولونياليين تجاه (المراكز) المختلفة تنوعت بشكل واضح في الإمبراطورية الفرنسية،كانت (القوة الثقافية) قد عهد بها تقريبا بشكل حصري الى نخبوية المثقفين الباريسيين التي جعلت بقية فرنسا (هامشيا) من الجهة الثقافية مثل المستعمرات الإفريقية والأنتيلية .

[1] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد ، ص 158

4- الذاكرة والاسترجاع:

أن من المفارقات السردية في ثلاثية "**أحلام مستغانمي**" وهي الوقوف على الخطية الزمنية للرواية ولا يتأتى ذلك إلا بترتيب الأحداث السردية والتي تتمثَّل أساسا في الاسترجاع والتذكر كآلية لاستعادة الوعي بالذات وكنوع من مقاومة استعمار الموتروبول ، وكذا تعزيز حضور الوعي والشعور بالذات رغم اغتراب الكاتبة ومنفاه ، فكانت رواية " **أحلام مستغانمي** " رواية خطاب الذاكرة بامتياز .

ويعد الزمن من العناصر الأساسية في الخطابات الروائية ، فلا يمكن للأحداث الروائية أن تخرج خارج الزمن ، لأنَّه يؤثر في العناصر والأحداث الأخرى ، فلا يمكن للسرد أن يستقيم في غياب الزمن . فالروائي يختار نقطة البداية التي أرادها ، وليس مجبرا على تتبع التسلسل الزمني للحكاية أو السّرد ، من ماضي لحاضر لمستقبل ، وهذه المفارقات الزمنية تنقسم إلى قسمين هما : التذكر والاسترجاع ، وكما أشار "حميد الحميداني " "المفارقة إما أن تكون استرجاعا لأحداث ماضية ، أو تكون استباقا لأحداث لاحقة "[1].

من التقنيات السردية الاسترجاع ، وهي عملية العودة إلى أحداث ماضية وفيه يترك الراوي القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ، والاسترجاعات والتذكر مذكورة بكثرة في رواية أحلام مستغانمي " كون ذاكرة الجسد رواية جمعت بين الحكي الآني وكذا الحكي المسترجع من الذاكرة ، و هو العودة إلى نقطة ما قبل الحكي ، وذلك ب " استرجاع الأحداث الماضية، بحيث يقطع الكاتب السرد ، ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة "[2]

فالسارد يستطيع أن يستعيد حدثا أو شخصية ما قد وقعت في الماضي القريب أو البعيد

[1] حميد الحميداني ، بنية النص السردي من منظور النَّقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ط1 ، ص 74
[2] المرجع نفسه، ص74

والاسترجاع نوعان :

أ- **الاسترجاع الخارجي** :"ويقصد به استرجاع السارد أو الشخصيات لحدث بعيد وقع قبل بداية القصة "[1] أي أنه خارج النَّص ، فالسعة الزمنية واقعة خارج نقطة البداية التي ينطلق منها حاضر القصة .

ودوَّنت رواية "ذاكرة الجسد" الكثير من الاسترجاعات في خطاباتها الروائية ، ومنه استرجاع السارد ذكرى أمه في المرَّة الأولى لدى رُؤيته لسوار حياة " **مددت يدي .. وفي عمر لحظة عادت ذاكرتي عمرا إلى الوراء ، إلى معصم (أما) الذي لم يفارقه هذا السوار قطّ** "[2]

ورغم أن الاسترجاع لم يكن طويلا ولم يسع من الكتاب إلا سطرين إلا أنه امتدَّ إلى عمق ثلاثين سنة وفي مرة أخرى شاهد حقيبة "زياد" التي لم يعرف ماذا يفعل بها ، فتذكر ماذا يفعل الناس مع أشياء الموتى "**أحاول أن أتذكر .. فتعود (أما) إلى الذاكرة ومعها تلك الأيام المؤلمة التي سبقت وتلت وفاتها** "[3]

وفي مثال آخر يسترجع ويتذكر ذكرى الشهداء ، وعلاقته بهم ، كعلاقته مثلا مع "**سي الطاهر** " رفيق سلاحه ، وذكرياته في سجن " **الكديا**" **كان في مصادفة وجودي مع (سي الطاهر) في الزنزانة التقيت بقدرك**"[4]

ومنه فقد اعتمدت الكاتبة الاسترجاع كأداة للتوثيق التاريخي أدبيا ، لأحداث هامة قد شهدها التاريخ الجزائري ، وكذا الثورة الجزائرية .

[1] جيرار جنيت ، خطاب الحكاية ، تر: محمد معتصم وعمر الأزدي عمر الحلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2003م ، ط3 ، ص 48
[2] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد ، ص53
[3] المرجع نفسه، ص 251
[4] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد ، ص32.

ب- الاسترجاع الداخلي :

ويعني به استرجاع أحداث ماضية متضمنة في الحقل الزمني للحكي ، وهو ذو صلة مباشرة بالشخصيات وأحداث القصة ن ف " تسير في خط زمني واحد بالنّسبة للزّمن الرّوائي " [1]

فبعد سماع السارد صوتية تركها له مراد ، استعاد ماضيه وتفاصيل إقامته بباريس " **كاد مراد مثقفا معروفا .. كاد مراد أن يفقد رأسه في ميتةملفقة .. تقاسمنا معا أيام الرعب في ذلك السكن الأمني في مازافران** " [2] . وعمدت الكاتبة في هذا الاسترجاع إلى التوثيق إلى موجة الاغتيالات التي تعرض لها الصحافيون أيام العشرية السوداء .

عمدت الكاتبة لإدخال تقنية الاسترجاع والتذكر ، لكن دون أن تحدث خللا في البناء الزمني للخطاب الروائي .

5- الذاكرة و الزمن في رواية ذاكرة الجسد :

للزمان والمكان دور هام في بناء الرواية ، فالزمن لا يتحقق إلا في إطار مكاني ، لأن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين .

أ- **الزمن لغة** :ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (زم ن) : " الزمن والزمان ، اسم لقليل الوقت وكثيرة ، وفي المحكم : الزمن والزمان والعصر ، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة ، وزمن زامن : أي شديد ، وأزمن الشيء : طال عليه الزمان ، والاسم من ذلك الزمان والزمنة ، وأزمن بالمكان : أقام به . . "[3]

ب- **الزمن اصطلاحا** :الزمن من المفاهيم الكبرى التي لا يقوم السرد الروائي إلا بها ، وأخذ هذا المصطلح عدة مدلولات ، ولكن المدلول الذي يهم بحثنا هو زمن القصة والحكي الروائي "

[1] وليد النجار ، قضايا السرد عند نجيب محفوظ ، دار الكتاب اللبناني ، 1985م ، ط1 ، ص 96
[2] أحلام مستغانمي ، عابر سرير ، منشورات أحلام مستغانمي ، بيروت لبنان ، ط3 ، 2003م ، ص 67_68
[3] ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ط1 ، دت ، ج2 ، مادة (زمن) ، ص48

زمن المادة الحكائية في شكلها ما قبل الخطابي ، أنه زمن أحداث القصة في علاقتها بالشخصيات والفواعل "[1]

وفي رواية ذاكرة الجسد فالرواية تبدأ بزمن الحاضر إذ تنفتح الرواية والسارد جالس في غرفته بمدينة قسنطينة يبحث عن مقدمة لروايته التي أراد أن يكتبها ليرويَّ قصته مع حبيبة أحبها ولكنه سرعان ما يسترجع حدثا سابقا " **آخر مرة استوقفتني جريدة جزائرية كان ذلك منذ شهرين .. وإذا بصورتك تفاجئني** "[2]ليعود بذلك إلى زمن الحاضر وزمن كتابة الرواية غير أنه يسترجع زمن وصفاء العلاقة مع الحبيبة " **تذكرت حديثا قديما لنا** " [3]

"فعنصر الزمن لرواية ذاكرة الجسد يندرج تحت السمة الفنية الإبداعية لتواجد في التقنية الزمنية الخاصة بها لغة أدبية وخصائص فنية تدفع شكل الزمن إلى أن يؤدي وظيفته الديناميكية في الرواية تفاعلا بين النص والقارئ على أن يتفاعل شعور القارئ بالنص بلوغا للتلذذ الفني "[4].

"فزمن القصة يشمل ماهو كوني ،ويتضمن الفصول والأيام والشهور والمؤشرات الزمنية التي نجدها تضبط أوقات الرحلات في محطات القطار ،ويشمل كذلك ماهو سيكولوجي ويضم مختلف الذكريات والأحاسيس ،أما زمن السرد فيبدو من التتابع المنظم للوصف ومن التدخل المتنامي والحقبي لمختلف المتتاليات الزمنية، بالإضافة الى تحوير الحوافز التيمية " ،فزمن القصة نفسي يدركه القارئ عن طريق الشعور والإحساس على أنه يتعلق بالجانب السيكولوجي أي العواطف والمشاعر, أما زمن السرد فهو لفظي يشمل دور اللغة ،فلابد أن يتضمنا إبداعا فنيا عند بنائهما السرد وذلك عن طريق اعتماد الكاتب التقنيات السردية كتيار الوعي ...

[1] سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي _ النص والسياق _ المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان ط2 ، 2001م ، ص49
[2] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد 15
[3] المصدر نفسه،ص 18,
[4]سعيد سوارى ،إضاءات نقدية :دراسة توظيف التقنيات الزمنية في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ،العدد السابع والعشرون ,أيلول 2017م ،ص133

فهذا الإبداع الفني للزمن في ذاكرة الجسد ناجم عن الابتكار الفني للكاتبة بعنصري الزمن والسرد عند قوامهما على الوظيفة اللغوية .[1]

كقول الكاتبة :{**كان في مصادفة وجودي مع سي الطاهر في الزنزانة نفسها شيء أسطوري بحد ذاته كان "سي الطاهر" استثنائيا في كل شيء وكان الفرنسيون الذين عذبوه وسجنوه لمدة ثلاث سنوات يعرفون ذلك جيدا**}[2]

{وجاءت تلك المعركة الضارية التي دارت على مشارف "باتنة"لتقلب يوما كل شيء فقد فقدنا فيها ستتة مجاهدين وإذا بمجرى حياتي يتغير فجأة وأنا أجد نفسي من ضمن الجرحى الذين يجب أن ينقلوا على وجه السرعة الى الحدود التونسية للعلاج }[3]

فتوظيف صيغة الفعل الماضي تدل على الزمن الماضي فتوجه الكاتبة القارئ للشعور بالخطاب التاريخي في الزمن الماضي بوصف الشخصية التاريخية "سي الطاهر" إلا أن الكاتبة سرعان ماتعود للزمن الحاضر باستحضار أحداث الرواية جاعلة تتابعا زمني بين زمن الحضور وزمن الماضي قائلة:{**مازلت أذكر قولك /وضعت جواره مسبقا ملعقة وقطعة سكر/ تركت السكر جانبا وارتشفت قهوتي /فكرت في غرابة هذا الطعم العذب للقهوة المرّة/ شعرت أنني قادرة على الكتابة عنك فأشعلت سيجارة عصبية ورحت أطارد دخان الكلمات** }[4]

وعلى هذا النحو تتحدد شعرية الزمان في رواية ذاكرة الجسد.

[1] المرجعنفسه ,ص134
[2] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد ,ص32
[3] المصدر نفسه,ص34-35
[4] المصدر نفسه ،ص9

الفصل الثاني :

الجندر وأسئلة الذكورة والأنوثة في الرواية

الفصل الثاني :الجندر وأسئلة الذكورة والأنوثة في الرواية

إن طبيعة المجتمع البشري أن يتكون من جنسين بشريين هما الذكر والأنثى لقوله تعالى "**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا**" النساء -1- : وقوله أيضا :"**إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**"الأنعام ,فلكل من الجنسين شكل وسلوك وميل يتميز به عن الجنس الآخر ,فالمجتمع منذ القدم ينظر إلى الأنثى نظرة أنها دون الذكر فهي ضعيفة تتسم بالحاجة له ،فحسب وائل علي فاتح الصمادي "فالذكورة والأنوثة مشكلة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام ،حيث صور القرآن الكريم هذه الإشكالية فقال الله تعالى في محكم تنزيله {**وإذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم**} النحل 58."[1]

شكلت رواية "ذاكرة الجسد" بيئة خصبة ضمّت العديد من الثنائيات كـ "الذكورة والأنوثة " ،فقد شكلت شخصية" حياة " في فضاء الرواية صورة المرأة فهي نقطة تمركز ثرية باعتبارها تشاطر الرجل حياته، فكانت الوتر الحساس الذي يتأثر بحركة الواقع ويؤثر فيه, فقد "صارت الكتابة بحثا عن أفق أوسع للحرية،تحقق فيه توازنها المفقود بين ذاتها الداخلية وذاتها الاجتماعية وبين ما ترغب بإعلانه وبين ذلك المسكوت عنه"[2] .

[1] وائل علي فاتح الصمادي ،صورةالمرأة في روايات سحر خليفة ، دار دروب للنشر والتوزيع،2010،ص55

[2]نزيه أبو نضال :تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيبلوغرافيا في الرواية النسوية,العربية للدراسات والنشر،بيروت ،لبنان ,ط1،2004,ص26

فقد كشفت أحلام مستغانمي في روايتها عن نموذج نسائي يعتبر علامة ثقافية يمكن من خلالها قراءة صورة المجتمع الذي كانت تعيش فيه بأدق تفاصيله من تاريخه وحاضره ونمط عيشه, ووفق ثنائية الأنا والآخر ،حيث تشكل الهوية بؤرة مركزية في السرد النسوي سواء على مستوى التجربة التي تحيل عليها الحكاية والمتعلقة بوضعية المرأة في المجتمع ككيان.....[1]

أولا : صراع الذكورة والأنوثة في الرواية

1- مفهوم الأنوثة:

جاء في لسان العرب لابن منظور "الأنثى خلاف الذكر في كل شيء،والجمعإناث،وأنث،وفي القرآن الكريم{ **إن يدعون من دونه إلا إناثا}**"[2]،جاء في المعجم الوسيط الأنوثة الصفات التي تتميز بها المرأة .

تعرّف سارة جامبل مفهوم الأنوثة بأنه:" مجموعة من القواعد التي تحكم سلوك المرأة ومظهرها وغاية القصد منها جعل المرأة تتمثل لتصورات الرجل عن الجاذبية الجنسية المثالية، والأنوثة بهذا التعريف نوع من التنكر الذي يخفي الطبيعة الحقيقية للمرأة, ولذلك فهي أمر مفروض على ذات المرأة على الرغم من أن الضغوط التي تدفع باتجاه الامتثال للنموذج الأنثوي السائد ثقافيا "[3].

فالأنوثة حسب النقد الأمريكي هي تصور اجتماعي يرتكز في منطلقه هذا من منطلق النوع لا الجنس يستخدم الدكتوران (سعد البازغي) و(ميجان الرويلي) في معجم دليل الناقد الأدبي مصطلح النقد النسوي ،ويحمل أهم سماته في أربع هي :تحديد وتعريف موضوع عالم المرأة الداخلي المحلي, والمادة التي كتبتها المرأة وكيف اتصفت هذه المادة بسمة الأنثوية, وينصب الاهتمام هنا على الأمور الشخصية والعاطفية الداخلية والاهتمام باكتشاف تاريخ أدبي للموروث ومحاولة إرساء صيغة التجربة الأنثوية المتميزة أو الذاتية الأنثوية في التفكير والشعور الأنثوي ومحاولة تحديد سمات لغة الأنثى ومعالمها

[1]إلهام وسطاني ،الأنساق الثقافية في رواية الخابية لجميلة طلباوي , مذكرة ماستر ,جامعة العربي بن مهيدي ،،كلية الأدب واللغات ، ص43
[2]ابن منظور،لسانالعرب،دار صادر للطباعة والنشر،مجلد1، بيروت ،لبنان،ص168
[3]سارة جامبل ,النسوية وما بعد النسوية ،ترجمة محمد شامي،ص337

والأسلوب الأنثوي المتميز في الكلام المنطوق المحكي والمكتوب, وبنية الجملة وأنواع العلاقات بين عناصر الخطاب وخصائص الصور المجازية والخيالية "[1].

يعرف عبد الله الغدامي "هو مجموعة صفات وحالات,إذ تمثلها الجسد النسوي فهو مؤنث, وإلا فهو خارج الأنوثة ،ومن هنا يكون التأنيث مفهوما ثقافيا وتصورا ذهنيا وليس قيمة طبيعية جوهرية"[2].

2- مفهوم الذكورة:

جاء في لسان العرب لابن منظور:"التذكير خلاف التأنيث،والذكر خلاف الأنثى"[3]

ف "الذكورة هي مجموع الصفات الخاصة بجنس الذكورة خلاف الأنوثة"[4],وتعرّف سارة جامبل الذكورة "أنها مجموعة الخصائص المميزة للرجال،تستند إلى الحتمية وتؤكد على الاختلافات البيولوجية الجوهرية بين الجنسين"[5].

تطرق أيضا عبد الله الغدامي إلى تعريف الذكورة:" التذكير هو الأصل وهو الأكثر،ولن يكون التذكير أصلا إلا أذا كان التأنيث فرعا"[6].

فأحلام مستغانمي من النساء اللاتي ولجّن عالم الكتابة لتفصح عن الأنثى في خطابها المكتوب وكي تعبر عن ذاتها ووجدت فيها تحقيقا لمطالبها، فقد قالت في رواية ذاكرة الجسد

"**سلاما أيها المثلث المستحيل،سلاما أيتها المدينة التي تعيش مغلقة وسط ثالوثها المحرك(الدين . الجنس . السياسة)**" [7] فقد تجلت في كتاباتها الدعوة إلى التحرر من القيود وإثبات وجودها.

---

[1] ينظر،ميجان الرويلي ،سعد البازغي ،دليل الناقد الأدبي ،ص325

[2] عبد الله الغدامي،ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة, المركز الثقافي العربي ،ط1،1988،ص57

[3] ابن منظور،لسانالعرب،دار صادر للطباعة والنشر،مجلد1، بيروت ،لبنان،ص1508

[4] المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،دار المشرق ،بيروت ،ص510

[5] سارة جمبل ،النسويةومابعد النسوية ،دراسات ومعجم نقدي ،ترجمة أحمد شامي، المجلس الأعلى للثقافة ،ط1، ص404

[6] عبد الله محمد الغدامي ،المرأةواللغة،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب،ط2006،3م,ص22

[7] أحلام مستغانمي ،ذاكرةالجسد،دار الاداب ،بيروت،الطبعة 15،2000م ،ص237

فقد شغلت الكاتبة نفسها بعرض صورتين متناقضتين للرجل والمرأة،فالمرأة هنا رمز للجزائر تلك الحبيبة الأنانية القاسية عوض أن تكون الحضن الدافئ الحنونفأحلام مستغانمي لم تذكر اسم حياة صريحا بل تفننت في ربطه بما عاشته البطلة فقالت "**بين ألف الألم وميم المتعة كان اسمك تشطره حاء الحرقة ..ولام التحذير,فكيف لم أحذر اسمك الذي ولد وسط الحرائق الأولى ،شعلة صغيرة في تلك الحرب .فكيف لم أحذر هذا الاسم المفرد** ..."

صنفت أحلام مستغانمي من بين الكاتبات اللواتي يبلورون الهواية الأنثوية، بما لها قدرة المطابقة بين فعل الكتابة والرغبة الجسدية ،فكل الاستعارات والتوريات والصور التي تتكون منها رواياتها تعود على منطق الحب والعلاقة بين الرجل والمرأة، فمما يجذب القراء نحو قراءة هذه الرواية هو صورة المرأة الأنثوية التي جسدتها فهي تمثل النموذج المرغوب فبطلتها مثقفة غير أن ثقافتها خاصة بالأنثى فأحلام مستغانمي ممن أجدن التخلي عن رداء الأنوثة واقتناء رداء الرجل بدلا عنه، وأجادت في محاكاة القارئ بالخطابين الأنثوي والذكوري حيث أجمعت العديد من القراءات النقدية أنها صنعت فيها امرأة جديدة من نمط فريد وهي "حياة ابنة سي الطاهر" ومن خلالها رسمت خطا رفيعا مابين الواقع الأليم للجنس الأنثوي والاضطهاد الذي تعاني منه المرأة تحت عتمة ظلال الرجل وخطت بها معاناة الوطن{الجزائر} والواقع العربي [1].

فغرض الكاتبة من الكتابة هي تفريغ وتخلص من ذاكرتها السوداء على الورق لحل تناقضها مع فئة الرجال فتتساءل"**هل الورق مطفأة للذاكرة**"[2] فهي "ترمي من خلال الكتابة والكلام إلى تفجير كل شروخ جسدها وتموجاته"[3] .

فقد ظل إحساس المرأة بالدونية مراودا لها بالمقارنة مع الرجل واعتقادها أن سلطة الرجل قد سلبت كيانها ووجودها، فقد كرّست الذكورية صورة قاتمة للمرأة عبرالتاريخ، فسعى الرجل الى فرض كتابته كإنتاج لا يمكن للمرأة أن تضاهيه مما ولد صراع بينهما .

[1] بتصرف ،لخضر لمياء ،الأنوثة في الرواية الجزائرية المعاصرة ,مذكرة ماجستير,2014،جامعة وهران ,ص106
[2] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد ،ص9
[3] محمد نورالدين قابة ،الهوية والاختلاف ،ص35

ثانيا :الجندر وثنائية التذكير والتأنيث

"استخدم لفظ الجندرمن قبل أوكلي وغيرها من المهتمات/ين في السبعينيات،لوصف خصائص الرجال والنساء المحددة اجتماعيا مقابل الخصائص المحددة بيولوجيا "[1].

يعرف الجندر:"يشير إلى مجموعة من الأدوار والعلاقات ذات التكوين الاجتماعي والصفات والمواقف والسلوكيات والقيم وموازين القوى والقدرة على التأثير التي ينسبها المجتمع إلى الجنسين على أسس تفاضلية,الجندر هو هوية مكتسبة يتم تعلمها وتتغير مع مرور الوقت وتختلف على نطاق أوسع داخل وعبر الثقافات"[2]

فالجندر مفهوم يبحث في دراسة العلاقات المتداخلة بين الرجل والمرأة في المجتمع،تحدد هذه العلاقات وتحكمها عوامل مختلفة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وبيئية عن طريق متابعة تأثيرها على قيمة العمل في الأدوار الإنجابية والإنتاجية والمجتمعية التي يقوم بها الرجل والمرأة.فيشكل مفهوم الجندر فصلا عاما بين الثابت والمتغير في العلاقة بين الرجل والمرأة.

فالبيولوجيا موضوع ثابت لا يتأثر بالإرادة الإنسانية ,والأدوار الاجتماعية التي تنتجها العناصر المادية والمعنوية في المجتمع،بمعنى آخر إن علاقات القوة ليست تلقائية ،وإنما منظمة حسب الثقافات المختلفة ،وبذلك تصبح قابلة للتغيير حسب الثقافات السائدة في زمن معين ومكان معين .وتنتقل هذه الثقافة عبر الأجيال من خلال عملية التنشئة الاجتماعية بحيث يمثل الجندر من خلال هذه العملية الأدوار الاجتماعية التي يصنفها المجتمع بناء على النوع البيولوجي لكلا

[1] عصمت محمد حوسو ،الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية ،دار شروق للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن،ط1،2009م،ص61
[2] الشعب الأمريكي ,الدليل المرجعي :المصطلحات والمفاهيم الأساسيةوتمارين تدريبية حول الجندر,ص15

الجنسين ويتوقع منهما أن يتصرفا بناء عليها من خلال الاعتماد على منظومة من القيم والعادات الاجتماعية والسلوكات المناسبة لكل جنس"[1].

1-تأنيث السرد :

تتشكل بنيةالنص الروائي الداخلية وكذا السياق الخارجي من اللغة التي لا تكاد تخلو منها فهي تعبر عن كل ما أراد الكاتب إيصاله للقارئ وتعبر كذلك عن طموحات كل الشخصيات فاللغة الروائية لغة ذات دلالات إيحائية جمالية تزيد النص الروائي جمالا ، والكتابة تعد بمثابة آلية دفاع يجد فيها الكاتب متنفسا وحرية للتعبير عن أوجاعه ومكبوتاته الداخلية التي يعيشها بشكل عميق ، فالكاتب يخلق تعويضا عن شعوره بنقص اتجاه شيء ما وكل ذلك لا سبيل للتعبير عنه سوى اللغة ، وقد اختلف الباحثون حول لغة الرواية الأنثوية وكذا لغة الرواية الذكورية ، وهذا صراع قائم على أساس الاختلاف بين الذكر والأنثى أو الرجل و المرأة ، فجاء استخدام اللغة هذا كوسيلة للتعبير عن هذا الصراع القائم ولأحدث هذا الصراع اختلافا في اللغة ، لتنفصل بعد ذلك اللغة إلى " لغة الذكورة " و "لغة الأنوثة " واستطاع بذلك الخطاب النّسوي أو لغة الرواية النّسوية أن يكسب قالب الخطاب الذي يحاكي به المرأة من شتى الأجناس الأدبية من (شعر ، قصة ، ورواية ..) ، واستسلمت الكتابة لتمارس فعلا هذا النوع من اللغة النّسوية .وقد ظلت اللغة لفترة من الزمن مِلكا للرجل كونه إنتاج فني وعمل إبداعي ، مما جعل من الأنثى تسير مسار الإبداع فأخذت تبدع في بعض الأنواع الأدبية كالقصص والحكايا ، ومع بروز جنس الرواية ظلت اللغة تحت عباءة الخطاب الذكوري ، فحولت المرأة خطابها في خاتمة السرد الشفهي التأنيث إلى الكتابي لتتحدى بذلك اللغة الأخرى.

ومن ثم بدأت المرأة بالكتابة والإبداع وفعل التأنيث ، وكان أول مشروع لتأنيث الرواية هو مشروع "مي" ثم مشروع "نازك الملائكة " الشعري ، ومنه بدأ هذا النوع من الكتابة ينتقل إلى مبدعات الوطن

[1]عصمت محمد حوسو,الجندر:الأبعاد الاجتماعية والثقافية ،ص223.

العربي فأخذن هذا الشكل من الكتابة أساسا لأعمالهن ، ,قد عمدن على تأنيث اللغة قصد التمهيد للكتابة الأنثوية ، فيتحول النص الإبداعي إلى ذات أنثوية مقابلة لذاتها ، تعكس حقيقة الذات وحقيقة الكون وكما أشارت ب : " أن شعور المرأة بأنها هي النص يعني أن المسافة قريبة جدا بين حياتها وفنها"

" فاللغة تعكس آلام الذات ، أمالها وأمانيها ، وتتسرب عبر ثقوبها ذاكرة الماضي وأحلام المستقبل لتغدو جسرا من الكلمات يصل بين الذات الأنثوية والعام المحيط بها "[1]

ويعود هذا التباين اللغوي بين الجنسين نتيجة لتباين السلوك بينهما وكما أشار الدكتور "**عيسى برهومة**" أن " المجتمعات التي تضرب فيها على الأنثى يزداد فيها التباين بين لغة الأنثى ولغة الذكر فتصبح للأنثى ألفاظها ، موضوعاتها واستعمالها اللغوي الذي يميزها عن لغة الذكر أما المجتمعات التي تتيح للجنسين التفاعل والاختلاط فإنَّ السلوك اللغوي يتضام في شكل خطاب واختيار المفردات بل يتقارب في الأداء اللغوي " [2]

"وقد شاع مصطلح الكتابة الأنثوية في الحياة الثقافية العربية وتمخضت عنه مناقشات حول مفهوم الكتابة النسوية ،وهل هناك كتابة نسوية وأخرى ذكورية ؟ فكلمة نسوي حسب النساء تحمل دلالات التعصب على الرجال ،فمصطلح "نسائي"يبقى دائما مرتبطا بدلالات المفهوم الحريمي الاحتقاري،وهذا ما دفع الكاتبات الى النفور منه "[3].

"فالكاتبة تجعل من الكتابة وسيلة تفريغ وحل لتناقضاتها مع الرجل والمجتمع فهي(ترمي من خلال الكتابة الى تفجير كل شروخ جسدها وتموجاته)،ونسيت أن اللغة هي أول أعدائها لأنها تحدد وظائفها ودورها في الوجود والمجتمع لذا نجدها في موضع آخر تقول (نحن لا نشفى من ذاكرتنا ،ولهذا نحن نكتب ،ولهذا نحن نرسم ،ولهذا يموت بعضنا أيضا)،فالمرأة بدأت الكتابة لما أدركت الاختلاف

[1] مقابلة مع لطيفة الزيات ، حوار الالتزام السياسي والكتابة السياسية ، مجلة ألف ، عدد 10 ، 2003م ، ص135
[2] عيسى برهومة ، اللغة والجنس ، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، الأردن ، 2007م ، ص 188
[3] بوضياف غنية ،كتابة الأنثى /أنوثة الكتابة أحلام مستغانمي أنموذجا,جامعة محمد خيضر ،بسكرة ,ص202

بينها وبين الرجل ،فالمراة لم تجد غير الكتابة تتخطى بها كآبتها وآلامها وأحزانها حتى لا يصدأ صوتها ويترهل إبداعها ،إذ تحقق لها توتر النفس الأنثوية فتتخذ من انكسارها كسرا للرؤية القديمة "[1]

فنجد شعرية المعاجم الدلالية تنتقي المفردات لتنضج وهجا بالأنوثة ، متجسدة في بعديها الحسي والمعنوي ، فتلبس الثورة ثوب الأمومة عند الروائية الكبيرة أحلام مستغانمي التي جسدت في لغتها السردية لغة الأنوثة وكسرت لغة الذكورة وجسدت ذلك في روايتها التي حققت بها نجاها كبيرا رواية "ذاكرة الجسد" ذكرت فيها : " **كانت الثورة تدخل عامها الثاني ، ويُتمي يدخل شهره الثالث ، ولم أعد أذكر الآن بالتحديد في أية لحظة بالذات**

أخذ الوطن ملامح الأمومة ، وأعطاني ما لم أتوقعه من الحنان الغامض ، والانتماء المتطرق له "[2]

وغيرها كثيرات من الروائيات اللاتي استطعن ممارسة فعل الكتابة ، بأسلوب أنثوي ورموز أنثوية بلسان المرأة تقمصت فيها دور الرجل واستعملت خطابه الذّكوري كأداة إثبات قُدرتها على ممارسة الحكي ، وفعل الكتابة.

تقول أحلام :(أنا امرأة مجنونة وازداد جنونا في حضرة الورق) [3]،تقول هذا استنادا الى لغتها الأنثوية التي تكتب بها .

2 :تذكير المؤنث :

ولجت أحلام مستغانمي عالم الكتابة في مجتمع ذكوري كان قد حصر الابداع شعرا كان أم نثرا على نفسه، فأعلنت مواجهتها له بحس أنثوي،فيكون التأنيث نسقا مضمرا يحرك رؤى الكاتبة .

"فرواية ذاكرة الجسد تتأسس على نسق التأنيث وفكرة كسر نسق الفحولة فقد تناولت فيه الكاتبة مواضيع شتّى منها :الحب ،الألم ،الأمل ،المرأة ,الخيانة ,كما تناولت موضوعا أكبر هو الثورة الجزائرية

[1]بتصرف ،بوضياف غنية ،كتابة الأنثى /أنوثة الكتابة أحلام مستغانمي أنموذجا,جامعة محمد خيضر ،بسكرة ,ص205
[2] أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، ص27
[3]آسياموساوي ،مقالةأحلام مستغانمي لا اغفر للذين نهبوا الجزائر ،مجلة الاختلاف ،ع3،الجزائر 2003,ص30

ضد المستعمر الفرنسي ،هذا على مستوى النسق الظاهر ،أما على المستوى المضمر فهي ثورة نسوية ضد مستعمر آخر هو الرجل الذي تسعى إلى تخليص الرجل من فحولته التاريخية لتسترد أنوثتها المسلوبة منها ،فكتابات أحلام مستغانمي ليست سوى جمع مؤنث سالم في صيغة مفرد ،كما جاء في قولها على لسان خالد بن طوبال : "**كنت كل مرّة أفاجأ بامرأة أخرى داخلك .وإذا بك تأخذين في بضعة أيام ملامح كل النساء ،وإذا بي محاط بأكثر من امرأة ,يتناوبن علي في حضورك وفي غيابك ....نساء كلهن أنت**"[1]حيث أخذت صوت مجموعة من نساء أردن الإيقاع بالرجل بين حبال شركها لاستعادة انوثتها التي ضاعت بعد احتلال الرجل لعالم اللغة .

فالبادي في الرواية هو تنازع نسقين :نسق للتأنيث وآخر للتفحيل ،تفحيل للحس الأنثوي لدى النساء ومنازعة للرجل في ميدانه (ميدان اللغة)،فـ"ذاكرةالجسد"تمثل انقلابا لغويا تتحول فيه المرأة من مجرد موضوع ومفعول به إلى فاعل تحاول فيه إعلان فحوليتها عن طريق هزم الرجل ،هذا الكائن الفحل الأسطوري يتضح هذا من خلال قولها :"**لا أريد أن أكون ابنة لأسطورة ،الأساطير بدعة يونانية ،أريد أن أكون ابنة لرجل عادي بقوته بضعفه،بانتصاراته بهزائمه ,ففي حياة كل رجل خيبة ما وهزيمة ما ربما كانت سببا في انتصار آخر**"[2]

ـ ففي روايتها ذاكرة الجسد أرادت أحلام مستغانمي الإنقاص من شأن الرجل قصد مساواته مع المرأة بل وتجعله كائنا ضعيفا في تركيبه الفيزيولوجي وتجسد ذلك في سردها عن المجاهد الجزائري خال بن طوبال الذي فقد ذراعه اليسرى في معركة ،فسافر الى تونس حاملا وصية أبيه سي الطاهر بتسمية ابنته التي لم يرها بأحلام ،ثم ينقطع لزمن فترة طويلة ،تكبر البنت وتسافر إلى باريس وهناك يلتقي بها خالد مرّة أخرى فيهيم بها حبا ،لكنها تحب غيره ،ليعود الى أرض الوطن منكسرا , **وهنا** يتجلى النقص لدى الرجل في التشوه الخلقي الذي أصابه وفي عدم تحقيق أماله ،السبب الذي جعله قاصرا عن تحقيق فحولته المثلى فيقول البطل معترفا: (لحظتها شعرت بهول ماحلّ بي ،وأنا أمد نحوك يدي

[1] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد ص141
[2]المصدر نفسه ،ص103

الفريدة في محاولة الإمساك بك، لقد كنت عاجزا عن التقاطك بيدي الوحيدة المرتبكة .....أليس عجيبا أن يكون لقائي الأول بك هو امتحاني الأول وعقدتي الأولى دون أن أنهزم على يدك في أصعب تجربة مررت بها منذ أن أصبحت رجل الذراع الواحدة.[1]

ثالثا: تمثلات الأنثى في رواية ذاكرة الجسد :

إن أحلام مستغانمي تنقلنا بسرعة بين مشاهد الصور الشعرية والقصصية ،فلغتها الأنثوية آسرة فهي في رواياتها تدعونا الى الحب الذي يحدث بيننا وليس الى الأدب الذي هو كل ما لا يحدث ،فلغة الأنوثة في ذاكرة الجسد قد تجسدت داخل البنية الإبداعية فتقول : (ما أجمل الذي لم يحدث)فهي علامة لوجود أماني خفية ،ثم تقول مرة أخرى (جائع أنا إليك ...عمر من الظمأ والانتظار ...عمر من العقد والحواجز والتناقضات ... عمر من الرغبة والخجل ...) وقد جسدت أحلام الأنثى بصور عدة نذكر منها :

1- **الأنثى الحبيبة** : من الأساليب التي استعملتها مستغانمي لاستمالة وجذب القارئ استعمال الجسد استعمالا بعيدا عن المعنى الحميمي في شكل عنوان لخلق توقع جديد للقارئ مخالفا لما كان في افق توقعه ،فنجد البطل خالد تلك الذات الذكورية التي استحدثتها احلام واحالت لها الكتابة بالجسد والذي أغوته اليهودية فالتونسية والنسوة الأخريات ,كن هن الكتابات الإبداعية التي تنفصل عن الذات المبدعة ممتلئة بها بينما يبقى الجسد فارغا ،فالمبدعة مستغانمي أفرغت ذاتها في الكتابة فامتلأت الكتابة بها ,جاء على لسان خالد البطل :(**منذ حبي الأول لتلك الجارة اليهودية التي أغريتها ، إلى تلك الممرضة التونسية التي أغرتني إلى نساء أخريات .... لم أعد أذكر أسماءهن ولا**

[1] عابد لزرق ،الخطاب النقدي والثقافي :مقاربة ثقافية لرواية ذاكرة الجسد،مج كلية الادب واللغات ,جامعة خنشلة,العدد1,ص101-103

ملامحهن تناوبن على سريري لأسباب لجسدية محضة ،ذهبن محملات بي لأبقى فارغا منهن)

يقوم الخطاب عند " أحلام مستغانمي" على ثلاثية (الحب ، الموت ، الوطن) ، فالحب عند الكاتبة ثابت من ثوابت الوجود وقيمة أساسية في جميع أعمالها عامة ، وفي "ذاكرة الجسد " خاصة ، فقد جسدت في روايتها على شخصية "خالد بن طوبال" الذي اختارته الكاتبة بطلا لروايتها ، وجسدت شخصية الحبيبة لـ "لخالد" في بلدته " قسنطينة "، والتي جسدتها حياة في ملامحها والتي تمثل هذه الأخيرة المحبوبة الحقيقية لخالد ، فهي ابنه قائده في الثورة "سي الطاهر" ، وهي التي تصغره بخمسة وعشرين عاما فقد أحبها خالد حبا جما لدرجة العشق الجنوني إذ يقول في الرواية : " **يشهد الدمار حولي اليوم إني أحببتك حتى الهلاك ، وأشتهيك حتى الاحتراق الأخير .. يا بركانا جرف من حولي كل شيء .. ألم يكن جنونا أن أزيد على جنون السواح والعشاق .. أنا الرجل المعطوب الذي ترك في المعارك المنسية ذراعه .. لم أتوقع أن المعركة التي سأترك عليها جثتي ،والمدينة التي سأنفق فيها ذاكرتي .. واللوحة البيضاء التي تستقيل أمامها فرشاتي لتبقى عذراء .. وجبارة مثلك ، تحمل في لونها كل الامتداد** " [1]

ويقول معبرا عن هيامه : " **كان حبك يحرقني بشبابه وعنفوانه ، وينحدر بي إلى أبعد نقطة في اللامنطق تلك التي يكاد يلامس فيها العشق ، وفي آخر المطاف ، الجنون أو الموت .. وكنت أشعر , أنا أنحدر معك إلى تلك المتاهات العميقة داخلي ، إلى تلك الدهاليز السرية للحب والشهوة وإلى تلك المساحة البعيدة الأغوار التي لم تطأها امرأة قبلك** " [2]فقد وجد خالد في حبيبته أملا بعد يأسه ، فهي بمثابة النبع الصافي الذي ينوّر قلبه ويشرق حياته : " تراك أنت .. نور آخر

[1] أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد ، دار الآداب ، بيروت ، ط25 ، 2010م ، ص 99 ، 100
[2]المصدر نفسه، ص 101

يضيء كل لوحة تمرّين بها ، فتبدو الأضواء الموجهة نحو اللوحات وكأنها موجهة نحوك ، وكأنك كنت اللوحة الأصيلة"[1]

ومنه يمكن القول أن كل علاقة بين حبيب ومحبوبته هي ذاكرة الحب فزمن الحب هو زمن الكتابة.

2- **الأنثى الأم** :يعاني البطل خالد في هذه الرواية من فقدان حنان الأمومة ،وتجرعه مرارة اليتم كما جاء على لسانه : (إن الذي مات أبوه لم يتيتم ،وحده الذي ماتت أمه يتيم) ،فصورة الام لا تكاد تفارق مخيلة خالد ،وهو ما زاد في مكانة الأنثى الأم للرجل ،فبعد وفاة ام خالد بأسبوع نجد الأب قد أتى بعروس صغيرة السن لتعويض المتوفاة ونساء يزغردن ....دون اهتمام بما يعانيه اليتامى فقد استغلت أحلام هذا الموقف لتصوير المرأة في الوطن العربي ....

لذا يجد خالد في أحلام العوض في أمه المتوفاة وكل شيء فيها يذكره بأمه من أسوارة معصمها الذهبية فيصفها خالد (**يا امرأة متنكرة في ثوب أمي ...في عطر أمي وفي خوف أمي علي** ...) ثم يقول: (**أنت الفتاة التي كان يمكن أن تكون ابنتي والتي أصبحت دون أن تدري أمي**).

وتتمثل صورة المرأة الأم في رواية "ذاكرة الجسد" في شخصية "حياة" ، التي كانت تمثل لخالد بن طوبال البنت والحبيبة والزوجة والأم ويظهر ذلك جليا في قوله : " **كنت في كل مرة أفاجأ بامرأة أخرى داخلك وإذا بك تأخذين في بضعة أيام ملامح كل النساء . ,إذا بي محاط بأكثر من امرأة ، يتناوبن على حضورك وفي غيابك فأقع في حبهن جميعا** " [2]

صورت لنا الرواية معاناة البطل خالد وحرمانه وفقدانه حنان الأمومة وتجرعه مرارة اليتم ، فجاءت الكاتبة بمقولة على لسان حاله : " **إن الذي مات أبوه لم ييتم .. وحده الذي ماتت أمه يتيم** "[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص58

[2] أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد ، دار الآداب ، بيروت ، ط25 ، 2010م ، ص141

[3] المصدر نفسه،ص 27

صورة الأم لم تكد تفارق ذاكرة "خالد " فقد طعم الحياة بفقده لأمه ، فأخذ يتخيلها في كل شيء يمر أمامه ، فحاول إيجاد بديلا لغربته فلم يجده إلا في "حياة" التي إذا مدَّت يدها لمصافحته استوقفه سوارها الذهبي الذي يشبه سوار والدته ، فتأخذه الذاكرة والحنين للحظاته مع أمه المتوفاة ، فمثلت له حياة الحضن الدافئ والعوض عن الحرمان . " **كان إحدى الحلي القسنطينية التي تعرف من ذهبها الأصفر المضفور ، ومن نقشتها المميزة ، تلك "الخلاخل" التي لم يكن يخلو منها في الماضي جهاز عروس ولا معصم امرأة من الشرق الجزائري ، مددت يدي إليك دون أن أرفع عيني تماما عنه ، وفي عمر لحظة عادت ذاكرتي عمرا إلى الوراء إلى معصم (أما) الذي لم يفارقه هذا السوار قط** "[1].

ويتسع خيال خالد في تشبيه حياة بأمه فيقول : " **بامرأة متنكرة في ثياب أمي .. في عطر أمي .. وفي خوف أمي علي** "[2]

ويقول أيضا : " **كيف حدث يوما أن وجدت فيك شبها بأمي ، كيف تصورتك تلبسين ثوبها العنابي ، وتعجنين بهذه الأيدي ذات الأظافر المطلية الطويلة ، تلك الكسرة التي افتقدت مذاقها منذ سنين** " [3]

ونلاحظ أكثر فقدان خالد لأمه عندما تزوجت حياة من رجل آخر ، فلم يضع هذا في الحسبان فرجعت به الذاكرة إلى ذكرياته مع أمه وحنينه إليها فلسان حاله يقول : " **(أما) .. لماذا قادتني قدماي إليها ذلك اليوم بالذات ، .. تسمرت قدماي ، وتجمدت تلك الدموع التي خبأتها لها منذ سنوات الصقيع والخيبة** "[4]

فكل رجل يكمن داخله طفل صغير يرى في المرأة التي أحبها صورة أمه التي يراها مثالا للأم ، كما يرى فيها أيضا كل ما يتعلق بأمه في أشيائها وملامحها .

---

[1] المصدر نفسه، ص53
[2] أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد ، دار الآداب ، بيروت ، ط25 ، 2010م، ص 377
[3] المصدر نفسه ،ص17
[4] المصدر نفسه،ص 329

3- الأنثى الوطن :

لا نجد رواية تخلو من حديثها عن للوطن ولو إشارة ، فالوطن يمثل البعد المكاني للعمل الروائي ، ويمثل الامتداد للإرهاصات النفسية للكاتب وأبطاله على السواء .

وتعد رواية "ذاكرة الجسد" ، من أبرز روايات الوطن العربي التي جسدت حضور الوطن في أعمالها ، وعالجته قضية من أهم القضايا التي شغلت الرأي العام وهي القضية الجزائرية وقضية الثورة الجزائرية ، فقد صورت لنا بذلك حب "خالد" لوطنه وشبهته بحب الأم لطفلها إذ يقول : " **ولم أعد أذكر الآن بالتحديد ، وفي أي لحظة بالذات أخذ الوطن ملامح الأمومة ن وأعطاني ما لم أتوقعه من الحنان الغامض ، والانتماء المتطرف له** "[1]

فمجرد فقدان خالد لأمه سارع للالتحاق بالثورة ، معوضا حنان أمّه بحنان الوطن ، ومنه فالوطن يعتبر ملجأً للحب والحنان الذي فقده وعوضه بمشاركته في الثورة .

وقد جعل "خالد" من حياة صورة لأمه تارة ، وصورة لوطنه : " **لم تكونِ كاذبة معي .. ولا كنت صادقة حقا لا كنت عاشقة .. ولا كنت خائنة حقا . ولا كنت ابنتي .. ولا كنت أمي حقا ، كنت فقط كهذا الوطن ، يحمل مع كل شيء ضده** "[2]

وتابع "خالد" ربط صورة المرأة بالوطن بحيث يكشف لنا أن حياة رمز للوطن بقوله : " **أنت مدينة .. ولست امرأة ، وكلما رسمت قسنطينة رسمتك أنت ، ووحدك ستعرفين هذا ..** "

فكان "خالد" كلما نظر إلى وجه حياة أو التقى بها رأى فيها الوطن الذي أحبه كحب العاشق لحبيبته : " **يا ياسمينة تفتحت على عجل .. عطرا أقل حبيبتي ، عطرا أقل لم أكن أعرف أن للذاكرة عطرا أيضا .. هو عطر الوطن** "[3]

---

[1] أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد، ص27

[2] المصدر نفسه، ص 379 ، 380

[3] المصدر نفسه ، ص85

" **يوم دخلت هذه القاعة دخلت قسنطينة معك . دخلت في طلتك .. في مشيتك في لهجتك .. وفي سوار كنت تلبسينه**" [1]

رمزت شخصية "**حياة** " لعدة صور متداخلة على مستوى الخطاب ، فتارة المرأة التي عشقها "خالد" عشقا جنونيا ,أخرى الأم المثالية ، ورمزت لمدينة قسنطينة ، رمزت للمرأة الجزائرية التي تحمل في عروقها القضية الجزائرية التي من أجلها فقد خالد ذراعه ، ومثلت المرأة المغتربة المشبعة بالثقافة الفرنسية والعربية . فشخصيتها تحضر في الرواية موضوعا ورمزا فكانت موضوعا للحب والعاطفة ، ورمزا للأرض والوطن .

واستطاعت الكتابة أن تغطي فراغ الغربة التي كانت تحس بها الكاتبة كونها ولدت وعاشت في المنفى ن وذلك عبر شخصياتها ، وغطت آلام الكاتبة ، وعبرت عن شعور كل إنسان يبتعد ويغترب عن وطنه ، وقد ظهر كل ذلك جليا في رواية "ذاكرة الجسد" فقد عبرت من خلالها عن وجع الاغتراب والمنفى ومرارته ووقعه على نفسية المغترب ، وهذا ما نلحظه بشكل جلي في شخصية "خالد" الذي اتخذا من المنفى ملجأً له بعد ما قرر السفر ، أو بالأحرى الهروب من موطنه الأصلي ومن ذكرياته المؤلمة فجاء على لسانه : " **وربما كنت أريد كذلك وأنا على أبواب المنفى أن أنهي علاقاتي بتلك البطاقة التي رافقتني من 1957م من بلد لآخر وكأنني أنهي علاقاتي بالوطن ، وأضعه أخيرا هو وأشياءه خارج الذاكرة** " [2]

ومنه :

- الاغتراب عامل للاضطراب واليأس ، وشعور الفرد بالانفصال عن الآخرين والمجتمع .
- ينشأ الاغتراب استجابة لمعاناة الإنسان ، ومشكلات عصره
- ظاهرة الاغتراب جزء من العمل الأدبي لذلك وجدت صداها في الأعمال الأدبية وخاصة الرواية .

[1] المصدر نفسه ، ص 117
[2] أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد ، ص72

تعد ذاكرة الجسد إجابة صريحة عن معاناة الإنسان الجزائري في الغربة حيث جسدت لنا هذه الظاهرة من خلال شخصيات الرواية .

ترى الدراسات النفسية أن الطفل يولد منجذبا لأمه ،و مع الزمن يتحول حبه الى حب أكبر هو "حب الوطن" لذا نجد خالد يقول : (**ولم أعد أذكر الآن بالتحديد ، وفي أي لحظة بالذات أخذ الوطن ملامح الأمومة وأعطاني مالم أتوقعه من الحنان الغامض** ....) فبعد أن فقد خالد أمه التحق بالثورة في الشهر الثالث معوضا حنان أمه بحنان الوطن يقول خالد في وصف أحلام بأوصاف اشتملت كل شي :(لم تكوني كاذبة معي ولا صادقة حقا ،لا كنت عاشقة ولا كنت خائنة حقا,ولا كنت ابنتي ولا كنت أمي حقا ,كنت فقط كهذا الوطن ....) فخالد جعل من صورة المرأة في الراية مطابقة للوطن فيقول عند لقائه بها :(جلس الوطن وقال بخجل :عندك كأس ماء ؟)

وأيضا (يا امرأة على شاكلة وطن ... امنحيني فرصة بطولة اخرى)[1].

[1]بتصرف ،بوضياف غنية ،كتابة الأنثى /أنوثة الكتابة أحلام مستغانمي أنموذجا,جامعة محمد خيضر ،بسكرة ص209

خاتمة

ملحق

خاتمة

خاتمة:

توصل البحث في الأخير إلى النتائج التالية :

- الاعتماد عن النقد الثقافي كممارسة للكشف عن ماهو مضمر في ثنايا الرواية "ذاكرة الجسد".
- توظيف النقد الثقافي كوسيلة لدراسة وقراءة النصوص والخطابات الروائية والكشف عن ماهو متواري خلف سطورها.
- اجتمعت في الرواية علامات مميزة جعلتها تصنف ضمن أدب ما بعد الحرب ،وهذه العلامات قد عملت على بناء لغة شعرية منفردة بذاتها تميزها عن باقي الأعمال .
- توظيف الكاتبة لتقنيتي الاسترجاع والتذكر،وذلك بالعودة بالزمن في السرد الى أحداث ماضية ثم العودة الى الزمن الحاضر.
- وصف الكاتبة للأماكن في الرواية (قسنطينة ـ باريس) مساهم في البناء السردي للرواية.
- اعتمدت الكاتبة في صياغتها للنص الروائي على آليات وتقنيات زمانية ومكانية بحيث جعلت القارئ يتفاعل مع النص كأنه يتواجد في السرد سواء في الزمنين الماضي أو الحاضر .
- تنوع الأحداث وتعدد الأماكن ساهم في إثراء النص الروائي .
- الكاتبة اعتمدت في سردها للنص الروائي على الانتقال بين الزمن الماضي والحاضر في الوقت نفسه.
- تعدد المواضيع في الرواية أدّى الى تنوع الأنساق فيها ،منها: نسق الذكورة والأنوثة والجنوسة أو الجندر في الرواية.
- جسّدت الرواية المكان والزمان كفضاء مفعم بالدلالات .
- كشفت الرواية عن صراع قائم بين الأنوثة والذكورة تبنته الروائية للتخلص من الهيمنة الذكورية التي باتت تشكل لها هاجسا.
- يبقى الصراع بين المرأة والرجل قائما لإرادة كل منهم فرض الهيمنة على الآخر .

خاتمة

- لغة الكتابة الأنثوية لغة لم تنكسر يوما أمام قلم الكتابة الذكورية .
- الكتابة النسوية مطفأة لاحتراقات الأنثى.
- أحلام مستغانمي ممن اتسموا بالجرأة في الكتابة الأنثوية ،فقد استطاعت توظيف لغة جديدة في الخطاب هي "لغة الجسد".

ختاما ،ف "ذاكرة الجسد" عمل إبداعي أنثوي متميز ،يحتمال العديد من القراءات .

الملحق

ملحق

ملحق حول سيرة أحلام مستغانمي وملخص رواية ذاكرة الجسد

ملخص رواية "ذاكرة الجسد" :

رواية "ذاكرة الجسد " أحد ثمار القلم النسوي الأنثوي للكاتبة الروائية الجزائرية "أحلام مستغانمي"، تلك المرأة الجريئة التي حملت لواء القلم لتبت أن للإبداع وجود فعلي ،فهي امرأة وجدت ما تحتاجه نفسه في الكتابة فكانت المفرغ والمتنفس لها ،فلعبت على أوتار الكلمات لتسافر بالقارئ في الخيال على متن مفرداتها ،فهي موهبة فاضت من بين تلك الجسور المعلقة ومنحدراتها وأعاليها لتجسد أحداثا ملامسة لما عيش في ذاك الوقت من خيبات وآلام ...

فاستطاعت أن تلمس وتخدش حرمة الرجل وسنتعرف على هذا جليا من خلال هذا البحيث...

حوت الرواية بين ثناياها أحداثا لها عديد الامتدادات السياسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية ،تنقل معاناة شعب في فترة استعمارية حساسة ...

تدور أحداث الرواية حول شاب جزائري يدعى "خالد" بطل من أبطال المقاومة في الثورة الجزائرية الأبية ،أصيبت يده اليسرى في أحد المعارك التحريرية القريبة من باتنة فتعين عليه الانتقال الى تونس ،مما تحتم عليه بتر هذه الذراع ،وقبيل الانطلاق يكلفه "سي الطاهر" بتسجيل ابنته في الحالة المدنية باسم اختاره الوالد ،ظن البطل خالد أن يده بترت في سبيل الوطن فكان سعيدا ،لكن سرعان ما أدرك أن الاستعمار مازال ينخر ويستنزف خيرات الوطن بكل أشكال العنف، وعندما أدرك البطل "خالد" هذه الحقيقة سافر إلى فرنسا بجسد غير مكتمل ينقصه ذراع ،بعد كل هذا نصحه طبيبه اليوغسلافي [كابوتسكي] بالرسم ،وفعلا توجه الى الرسم فرسم أول لوحة سماها "حنين"وهي صورة لأحد جسور قسنطينة، ليعرضها في معرضه في فرنسا لتزوره صدفة فتاتان أحدهما ذات فستان أبيض وفي معصم يدها سوار أمه,لتقف متأملة تلك اللوحة التي تجسد صورة من الحنين "حنين" ،وبعد حوار

معها يعرف أنها تقربه فهي من تحمل لقب "عبد المولى"وهو لقب الشهيد "سي الطاهر" ،وكل آماله أن تكون هي ابنة "سي الطاهر" ،وكان الأمر كذلك فقد كانت مقيمة في فرنسا عند عمها "السي الشريف"وتدرس هناك ،فعند رؤيتها عاد بزمن الذكريات الى بلاده الأولى ...

تبادلا أطراف الحديث لتحدثه عن عائلتها وأحوالهم ليحدثها عن قدومه إلى بيتهم في تونس, ليتعرف عن عمها "سي الشريف"في لقاء في معرضه ،باستمرار لقاء البطل بهذه الفتاة يحدثها عن صديقه زياد الذي تعرف عليه في أحد دور النشر ،هذه الفتاة التي كانت تصغره بخمسة وعشرين عاما ،فبدأ يجتاح قلب خالد مشاعر تجاهها والتي بادلته إياها ربما رأت فيه المحب أو لمحت فيه مشاعر الأب الحنون

توالت الدعوات على خالد من قبل "سي الشريف" للمرة الثانية لكن هذه المرة مختلفة فهو مدعو لحضور حفل زفاف "حياة " في مدينته قسنطينة ،فعاد واستقبله أخاه حسان الذي توفي بعد مدة من عودة أخيه خالد الى فرنسا في أحداث أكتوبر 1988م رميا بالرصاص ليضطر للعودة الى الجزائر لمواراة جثة أخيه ...

حول الروائية "أحلام مستغانمي" :

أحلام مستغانمي روائية من الجزائر ولدت في 13.04. 1953م ,كاتبة جزائرية ترجع أصولها إلى مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري

عملت أحلام مستغانمي في الإذاعة الوطنية مما خلق لها الشهرة كشاعرة ،انتقلت الى فرنسا في سبعينيات القرن الماضي حيث تزوجت من صحفي لبناني وفي الثمانينيات نالت شهادة الدكتوراه من جامعة الصربون ،تقيم حاليا في بيروت وهي حائزة على جائزة نجيب محفوظ لعام 1998م عن روايتها ذاكرة الجسد ،وهي أول روائية من الجزائر تنشر كتابا باللغة العربية ،عاشت تجربة الحرب من خلال خبرة أبيها الثائر الجزائري "محمد الشريف" وخالها ,وهذا أول ما تظهره سيرتها الذاتية

ملحق

لم تكن أحلام غريبة عن ماضي الجزائر ولا عن الواقع المعيش هذا ما جعل كل أعمالها تحمل بصمات من أثر والدها ،حتى وإن لم يذكر بشكل صريح فقد ترك بصمته عليها مادامت موجودة .

مؤلفاتها:

- ذاكرة الجسد 1973م.
- على مرفا الأيام 1973م.
- الأسود يليق بك 2012م.
- فوضى الحواس 1997م.
- كتابة في لحظة عري 1976م.
- عابر سرير 2003م.
- قلوبهم معنا وقنابلهم علينا 2009م.
- نسيان 2009م.

جوائزها:

- جائزة نور ،لأحسن إبداع إنساني باللغة العربية من مؤسسة نور بالقاهرة سنة1996م.
- جائزة جورج ترابای ,لأفضل عمل أدبي كبير منشور في لبنان .
- جائزة نجيب محفوظ للرواية من قبل الجامعة الأمريكية سنة 1998م .

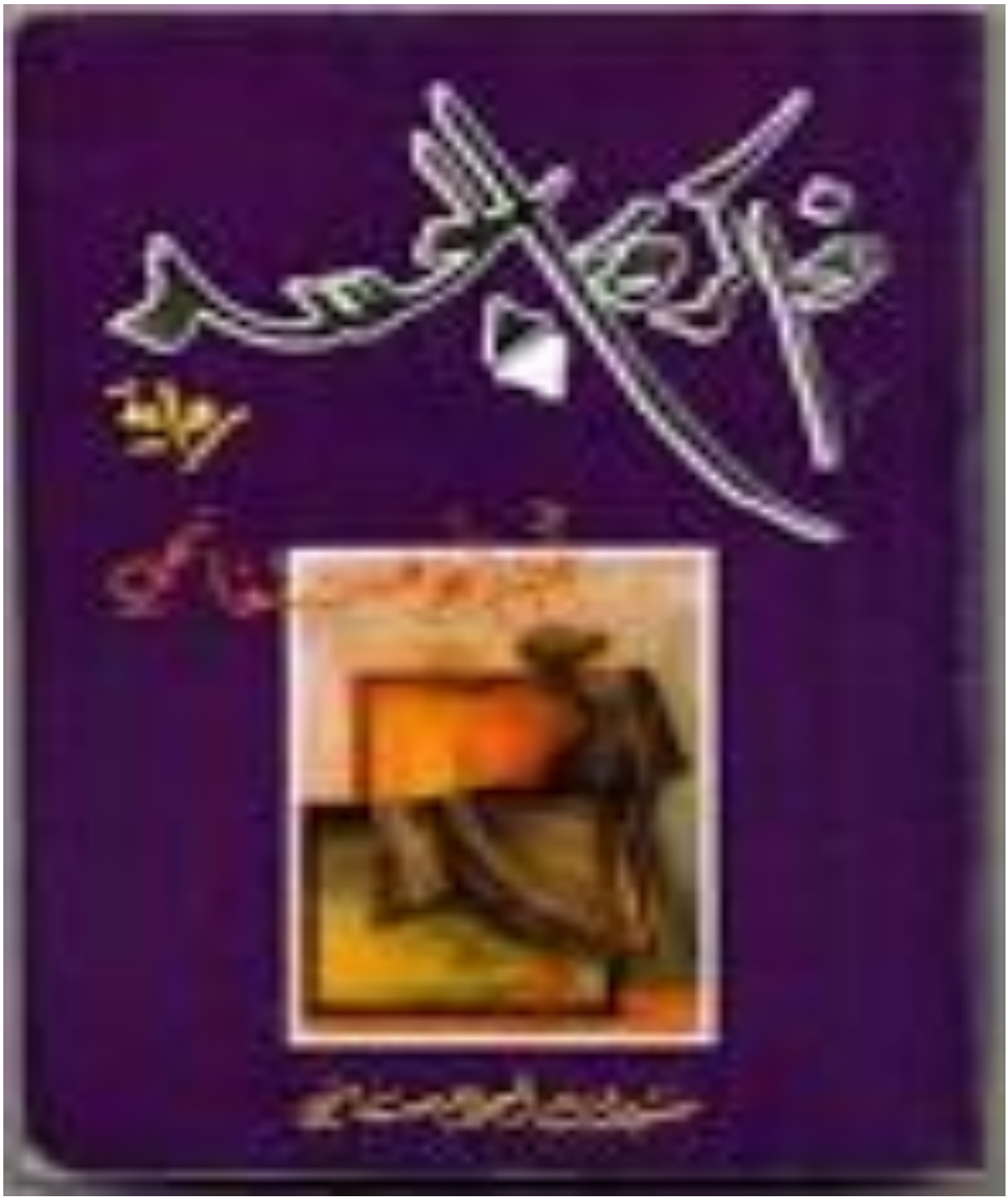
رواية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم برواية ورش.**

المصادر :

- **أحلام مستغانمي ،ذاكرة الجسد، دار الآداب ، بيروت ، ط25 ، 2010م**

المراجع:

- **الكتب :**

- أحلام مستغانمي ، عابر سرير ، منشورات أحلام مستغانمي ، بيروت لبنان ، ط3 ، 2003م .
- حسن البحراوي ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط2 ، 2009م.
- حفناوي بعلي ، مسارات النقد ودارات ما بعد الحداثة ، أمانة عمان الكبرى ، الأردن ، ط1 ، 2007م
- حميد الحميداني ، بنية النص السردي من منظور النَّقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ط1 .
- سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ــ النص والسياق ــ المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان ط2 ، 2001م .
- سمير الخليل ، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي "إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة " ، مراجعة وتعليق ــ سمير الشيخ ــ دار الكتب العلمية ، بيروت ، دط ، دت .
- سمير الخليل ،دليل المصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1971 م.

- الشعب الأمريكي ,الدليل المرجعي :المصطلحات والمفاهيم الأساسية وتمارين تدريبية حول الجندر.
- عبد الله الغدامي،ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة, المركز الثقافي العربي،1ط،1988.
- عبد الله محمد الغدامي ،المرأةواللغة،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء،المغرب،ط3،2006م
- عصمت محمد حوسو ،الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية ،دار شروق للنشر والتوزيع،عمان ،الاردن،ط، 2009م.
- عيسى برهومة ، اللغة والجنس ، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، الأردن ، 2007م .
- محمد أحمد أبو الفرج ، مقدمة لدراسة فقه اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة 1 ، 1996م .
- ميجانالرويلي ،سعدالبازغي ،دليل النقد الأدبي,المركز الثقافي العربي،الطبعة الثالثة،2002 ،بيروت ،لبنان .
- نزيه أبو نضال :تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيبلوغرافيا في الرواية النسوية,العربية للدراسات والنشر،بيروت ،لبنان ،ط1 ،2004م
- وائل علي فاتح الصمادي ،صورة المرأة في روايات سحر خليفة ، دار دروب للنشر والتوزيع،2010.
- وليد النجار ، قضايا السرد عند نجيب محفوظ ، دار الكتاب اللبناني ، 1985م ، ط1 .

– الكتب المترجمة:

- أحمد عبد الحليم عطية ,ما بعد الكولونيالية في ما بعد الحداثة حلقات الجدل.

- بيل أشكروفتوجاريثجريفيث ، وهيلين تيفين : دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية ، تر : أحمد الروبي ، وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010 م.
- جعفر يايوش ,الأدب الجزائري الجديد التحربة والمآل ,المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ،وهران ,دط.
- جيرار جنيت ، خطاب الحكاية ، تر: محمد معتصم وعمر الأزدي عمر الحلي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2003م ، ط3
- سارة جامبل ،النسوية و ما بعد النسوية ،دراسات ومعجم نقدي ،ترجمة أحمد شامي، المجلس الأعلى للثقافة ،ط1...
- كونلوولفو آخرون ، موسوعة كمبدريدج في النقد الأدبي القرن العشرين المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية ، تر : اسماعيل عبد الغني وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ج9 ، ط1، 2005م .

- **المعاجم:**

- ابن منظور،لسان العرب،دار صادر للطباعة والنشر،مجلد1، بيروت ،لبنان.
- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ط1 ، دت ، مجلد2 ، مادة (زمن) .
- جبران مسعود *الرائد* ,معجم ألفبائي في اللغة والإعلام ، دار العلم الملايين ، بيروت لبنان ، ط3 ، 2005م .
- المنجد في اللغة العربية المعاصرة ،دار المشرق ،بيروت .

- **المجلات:**

- آسيا موساوي ،مقالة أحلام مستغانمي لا اغفر للذين نهبوا الجزائر ،مجلة الاختلاف، ع3،الجزائر 2003.
- بوضياف غنية ،كتابة الأنثى /أنوثة الكتابة أحلام مستغانمي أنموذجا,جامعة محمد خيضر ،بسكرة .

- عابد لزرق ،الخطاب والنقد الثقافي :مقاربة ثقافية لرواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي،مجلة كلية الآداب واللغات ،جامعة خنشلة ،العدد الأول .
- عائشة لعبادلية ، قراءة في مرجعيات خطاب النقد الثقافي لدى إدوارد سعيد ، الممارسة الأدبية عند العرب والدرس المقارن ، أعمال المتلقي في الأدب المقارن ، منشورات مخبر الأدب العام المقارن ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، أفريل ، 2015م.
- عمارة الجداري ،سياقات (من علامات مابعد الحرب في رواية ذاكرة الجسد) 2018م.
- مقابلة مع لطيفة الزيات ، حوار الالتزام السياسي والكتابة السياسية ، مجلة ألف ، عدد 10 ، 2003م .
- منى طواهرية ،اللغة والهوية الوطنية في محك الإرث الاستعماري ،مجلة بدر ،المجلد 10،العدد 1، سنة 2018 .
- ندى يسرى ،المركزية الذكورية وثقافة النسق ،رسالة المشرق .

- **المواقع الالكترونية:**
  - "موقع أحلام مستغانمي " شبكة المعلومات.

- **الرسائل الجامعية :**
  - إلهام وسطاني ،الأنساق الثقافية في رواية الخابية لجميلة طلباوي , مذكرة ماستر,جامعة العربي بن مهيدي ،،كلية الأدب واللغات .
  - لخضر لمياء ،الأنوثة في الرواية الجزائرية المعاصرة ,مذكرة ماجستير,2014،جامعة وهران.
  - محمد زكور : الرواية الافريقية ما بعد الكولونيالية وتشكل صورة الآخر (تشينوا اتشبي والطيب صالح أنموذجا) ، رسالة مقدة لنيل رسالة الدكتوراه تخصص أدب مقارن ، جامعة الجزائر 2 ، أبو القاسم سعد الله 2-2017.16م
  - نبيل ياسف . نوال قرني ،الرواية الجزائرية المعاصرة في ضوء النقد الثقافي ,مذكرة ماستر,2017ـ 2018،جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل ،ص(أ)

الفهرس

المحتويات

الاهداء 3

شكر وعرفان.....5

مقدمة .....ز

مدخل 4

مدخلحولمفهومالنقدالثقافي.....5

✓ النقدالثقافي : 5

✓النقدالأدبيمننقدالنصوصالنقدالأنساقالثقافية 7

✓ الأنساقالثقافية :.....9

الفصلالأول : مابعدالكولونياليةفيالرواية 12

أولا :نظريةمابعدالكولونيالية :.....12

1–اللغةومابعدالكولونيالية :... 16

ثانيا :الهيمنةوالميتروبول : 23

ثالثا : الذاكرةواستردادالوعيبالذات: 25

1.ذاكرةالمكان (باريس،قسنطينة) في الرّواية: 26

2–الذاكرةوالاسترجاع: 28

3–الذاكرةوالزمن في رواية ذاكرةالجسد : 30

الفصلالثاني :الجندروأسئلةالذكورةوالأنوثةفيالرواية 34

أولا : صراعالذكورةوالأنوثةفيالرواية 35

1– مفهومالأنوثة:.....35

2– مفهومالذكورة:.....36

ثانيا :الجندروثنائية التذكير والتأنيث 38

ثالثا : تأنيثالسرد : 39

رابعا :تذكيرالمؤنث : 41

تمثلات الأنث نفي رواية ذاكرةالجسد : 43

1– الأنثى الحبيبة 43

2الأنثى الأم 45

3-الأنثى الوطن : 47

خاتمة: 53

ملحق 56

- ملخصرواية "ذاكرةالجسد" :.....56
- حولالروائية "أحلاممستغانمي" : 57

الفهرس ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

ملخصالبحث : 68

ا

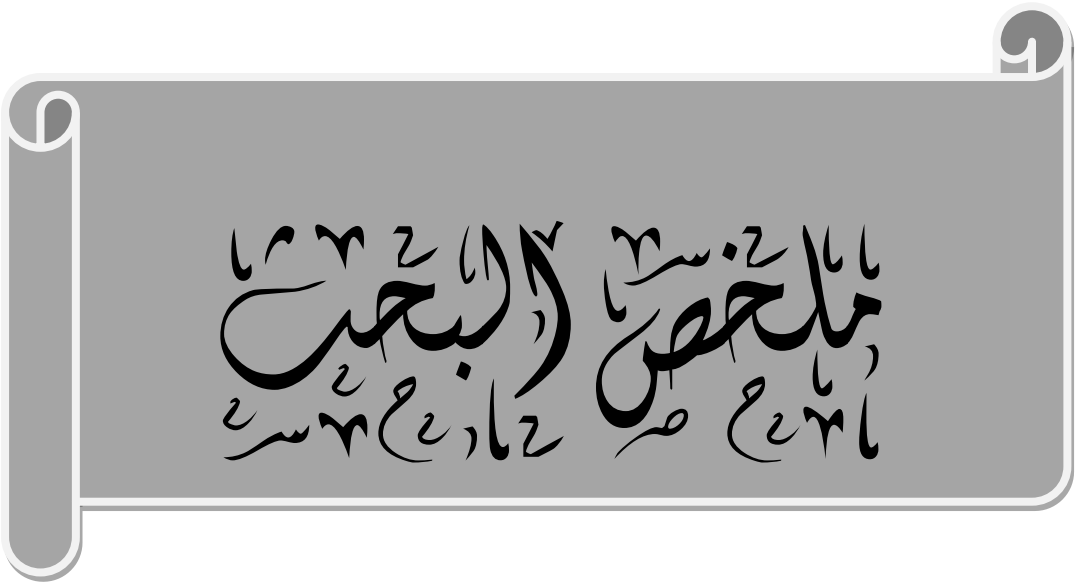

ملخص البحث :

يتناول هذا البحث حضور النقد الثقافي في المدونة المختارة "ذاكرة الجسد" ،انطلاقا من إشكالية الكشف عن أهم الأنساق الثقافية المساهمة في تكوين الخطاب الروائي للرواية ـ موضوع الدراسة ـ تسعى هذه الورقة للكشف عن بعض المفاهيم المتعلقة بالنقد الثقافي ومجال اشتغاله وتحديد مفهومه والإبانة عن انتقال النقد الأدبي من نقد النصوص إلى نقد الأنساق والحفر عن مضمرات الخطاب الروائي التي ساهمت الثقافة في ترسيخها والكشف عن ما بعد الكولونيالية و آثار الاستعمار و ما ولّده من صراع بين العربية والفرنسية ,وبروز صراعات متعددة في ثنايا الخطاب الروائي كصراع الذكورة والأنوثة والذي تجلت آثاره في تأنيث السرد وتذكير المؤنث أو الجندر .

الكلمات المفتاحية: ما بعد الكولونيالية .الميتروبول .الجندر . الرواية الجزائرية.

This research deals with the presence of cultural criticism in the selected blog "Memory of the Body", based on the problem of revealing the most important cultural patterns contributing to the formation of the narrative discourse of the novel _the subject of the study_ This novel seeks to reveal some concepts related to cultural criticism and its field of work, define its concept, demonstrate the transition of literary criticism from criticism of texts to criticism of formats, search about the implications of the narrative discourse that culture contributed to its consolidation, the detection of post-colonialism,the effects of colonialism, and the resulting conflict between Arabic and French,the emergence of multiple conflicts in the folds of the narrative discourse, such as the conflict of masculinity and femininity, whose effects were manifested in the feminization of the narrative and the reminder of the feminine or gender

Keywords :

postcolonialism /metropolle / gender /algerian